

قافلة الزيت

محرم ١٣٨٩ - مارس - أبريل ١٩٦٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد الأول المجلد السابع عشر

تصدّر شهرتاً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - تونز جحاًناً

محتويات العدد

الكاتب الصفحة

٢ مع اطلالة عام جديد رئيس التحرير

القافلة تسير

- ٨ درس من الهجرة النبوية (قصيدة) محمد عبد الغني حسن
١١ الأدب السبر والأدب العسير محمود الشراوي
٣٣ مطالعات الصبا ومؤلفات الشباب أحمد أبو الخضر منسي
٤٠ زعموا (قصيدة) طاهر زمخشري

آداب

- ٣ أضواء على تاريخ جنوب الجزيرة العربية د. عبد الرحمن الانصاري
٢١ أسماء بنت أبي بكر علي حافظ

تاريخ واستراحة

- ٩ معمل عائم لفرز الغاز عن الزيت عوني أبو كشك
١٣ بترومين : ومشاريعها في حقل البترول عصام العماد
٢٥ دور الصيانة في صناعة الزيت حكمت حسن
٤٥ تاج عمل

امتطاعات

- ٣٥ قطار نصف الليل جاذبية صدقي

قصة

- ٤١ العباسية أبو طالب زيان
٤٤ الحركة الأدبية في العالم العربي

كتب

رئيس التحرير منصور مدني
والمدير المسؤول
المحرر المساعد عونني أبو كشك

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩
الطهران ، المملكة العربية السعودية

يجوز الاقتباس والنشر منها دون
إذن مسبق على أن تذكر كمصدر

صورة الغلاف



إشراقة عام جديد
تصوير سعيد الغامدي

مع اطلالة الشيخ على حبيد

مع اطلالة العام الهجري تعود الى الأذهان ذكرى الهجرة النبوية الشريفة وما عاصرها من أحداث تدل على عظم ما كابده الرسول الكريم والدعاة الأوائل في سبيل نشر الدعوة الاسلامية التي آمنوا بها الايمان كله ، فأكسبهم ايمانهم عزماً وثباتاً ، لم يلبث معه دينهم الحق ، الذي نشأ ضميماً على أكثاف أفراد ، أن عم معظم بقاع الأرض ، وأصبح يمثل قوة عظمى على وجه البسيطة .. أين منها ما هو عليه الآن ؟!

ومع انصرام كل عام تزداد خبرات البشر وتفتح مداركهم ، بمقدار ، كما يقتربون خطوة نحو النهاية المرقبة .

والأعوام وحدات تقاس بها أعمار البشر ، فالتناس دأبوا على أن يقيسوا أعمارهم بعدد ماضى عليهم من سنين ، بيد أن آخرين يقيسون أعمارهم بما يرجون أن يتبقى لهم من سنوات حياتهم التي قد تطول وقد تقصر ، معللين بأن ما قد مضى فات ، وإنما العبرة في الاستفادة مما سيأتي من أيام . ولئمة فئة تربط بين أعمارها وبين الوحدات الزمنية وتنتاجها من هناء وسعادة للأفراد ، أو خير وفائدة للأمة ، فالإنسان في نظرها لم يخلق هملاً ، وإنما وجد ليؤدي رسالة معينة أو رسالات ، ان لم يؤدها فكأنه لم يوجد . وهذه الفئة لا تقيس أعمارها بالسنين — ربما لفضالة ما يصرفه الانسان من وقت على الانتاج الحق ، أو لقصر لحظات المسرة الخالصة اذا ما قارن ذلك بحياته المديسة — ولكن تقيسها بالايام ، ما مضى منها أو ما ترجو لها البقاء .

فمن ذلك أن عبد الرحمن الناصر كان يقرن عمره بعدد أيام سروره ، وكان يعدها بضعة عشر يوماً من أربعين سنة له على عرش الأندلس ، أجمل بقاع المعمورة آنذاك .. وما بقي من حياته كان يحسبه ملك رعيته وأمه .

ومن ذلك أيضاً أن رجلاً دخل قرية مارا بمقبرتها ، فلقت نظره كتابات على شواهد قبورها ، فلما تبينها وجدها تحمل أمثال العبارة التالية : « هذا قبر فلان الذي ولد عام ١٨١٣ وتوفي عام ١٨٧٦ ، وقد عاش شهرين فقط . » فوقع الرجل في حيرة من أمره ، وسأل شيخاً كبيراً صادفه عن تفسير ما رأى ، فأجابه الشيخ : « اننا في هذه القرية — يا بني — نقيس أعمار الناس بالايام التي يصرفونها فيما يعود عليهم وعلى أمتهم بالخير والفائدة ، وهي فسي الغالب قصيرة اذا ما قورنت بالفترة التي يقضونها في هذه الدنيا » .

وقد دأب الناس على الاحتفاء باطلالة كل عام جديد ، وحق لهم بدل الاحتفاء محاسبة أنفسهم على ما جنوا في عامهم من خير ، وما فقدوا ، وما ذلك بمرجع اليهم ما فقدوا ، الا أن تكون لهم فيه العبرة ، فيعملوا على استدراك ما فرط منهم ، والاستفادة مما كسبوا .

اذا مَرَّ بي يوم ولم أتخذ يداً ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

رئيس التحرير

الحديث عن تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام يعني الحديث عن وضع كل دولة أو مجموعة دول الجنوب والعلاقة بين هذه الدول نفسها ، وبينها وبين جيرانها خارج المنطقة .

والحديث عن دول الجنوب يعني بالتالي الحديث عن الفترة التي سبقت ظهور هذه الدول ، وهي الفترة القبلية التي مرت بها مجموعة القبائل التي تكونت منها دول الجنوب . والحديث عن الفترة القبلية قد يعود بنا الى حوالي الألف الثاني قبل الميلاد ، وهي التي كان فيها المعينيون والسبئيون عبارة عن قبائل تموج شمال الجزيرة ثم جنوبها . ولا نعرف عن هذه الفترة الشيء الكثير ، ذلك ان حياتهم كانت لا تسمح بتسجيل هذه المراحل في تطور حياتهم ، كما ان الأمم التي عاش على حدودها المعينيون والسبئيون وغيرهما من القبائل لم تسجل لنا شيئا من هذا القبيل ، وربما كانت القبائل العربية في هذه المرحلة لم تتميز عن غيرها من القبائل السامية التي كانت تنتقل من مكان الى آخر .

وقد ذكرت بعض الكتب التاريخية أن «معين» كانت من جملة القبائل التي عاشت في صحراء الهلال الخصيب ، أي في المنطقة ما بين سوريا والعراق وفلسطين ، ثم لظروف أو أخرى انتقل المعينيون الى أماكن أخرى كالمنطقة التي كان يقطن بها النبطيون وشمال الجزيرة ثم جنوبها حيث كان يسكن السبئيون .

ويحاول بعض المؤرخين الربط بين اسم المعينين وبين اسم مدينة «معان» في شرق الأردن ، وهذا الربط لا يستند على حقائق

وبراهين علمية ، عدا ما جاء في أقاصيص التوراة ، وهذا لا يعني أن الأمر يخلو كلية من الحقيقة .

أما السبئيون فقد جاء ذكرهم في التوراة على أنهم أهل تجارة ، وذكرت قصة سليمان مع ملكة سبأ ، التي يعود تاريخها الى حوالي القرن العاشر قبل الميلاد . وحديثنا عن القرن العاشر لقليلة سبأ يجرنا الى الحديث عن المدرسة التاريخية التي ترى تصعيد تاريخ الدول ، بمعنى أنها تجعله موعلا في القدم بشكل أو بآخر حسبما تمليه القرائن ، ثم تحاول ربط تاريخ هذه الدول بطريقة أو بأخرى بقصص التوراة . أما المدرسة الحديثة في التاريخ فهي تحاول التقريب أي الزول بتاريخ هذه الدول عن الفترة التي اقترحها أصحاب المدرسة القديمة . بانين طريقتهم على وسائل أكثر دقة وعلمية ، أهمها استخدام علم الآثار .

وبالإضافة الى التوراة نجد ذكرا لدولة سبأ في الكتابات الآشورية في أعمال «سرجون» سنة ٧١٥ قبل الميلاد ، ثم في أعمال ابنه «سنحريب» سنة ٦٨٥ قبل الميلاد . وقد جاء ذكرهم في هذه الكتابات على أنهم من جملة القبائل والممالك التي دفعت الضرائب الى ملوك آشور . وقد ذكر المعينيون والسبئيون والقبتانيون والحضرميون وغيرهم في الكتب اليونانية والرومانية .

وحديثنا عن تاريخ دول الجنوب يجرنا الى موضوع آخر ، وهو أن بعض المؤرخين ، وخاصة من يتبنون منهم الى المدرسة القديمة ، يذهبون الى ترتيب دول الجنوب ترتيبا بحيث يلاحق بعضها بعضا ، فبدأوا بدولة معين ، ثم سبأ وقبتان ، وهكذا . ولكن الرأي السائد لدى المؤرخين

المحدثين هو المعاصرة ، وهو الاشتراك الزمني بين مجموعة الممالك في جنوب الجزيرة بمعنى أن دولة معين عاشت في نفس الوقت أو قريبا من الوقت الذي عاشت فيه دولة سبأ وقبتان وحضرموت . وعندما نتحدث عن دول جنوب الجزيرة فأننا نعتمد في تاريخنا لها على الكتب السماوية ، وعلى النقوش والآثار التي جمعت عنها ، وعلى ما دون من تاريخها . ومن سوء الحظ أن الكتب العربية لن تعن بتاريخ هذه الدول ، عدا سبأ لورود ذكرها في القرآن الكريم ، ثم حمير ، وهذه لقربها زمنيا عن عصر الكتابة .

والعنوان على النقوش كصدر من مصادر تاريخ جنوب الجزيرة يسوقنا الى الحديث عن مشاكل حدثت عند دراستها . فمن هذه المشاكل هو عدم ورود تاريخ على بعض الكتابات ، ومنها عدم ترتيب الملوك والحكام ترتيبا زمنيا وتسلسليا . هذا التضارب بين أسماء الملوك وعدم ذكر التواريخ خلق تساؤلات ، من أهمها : هل كان الملك وراثيا ؟ وهل كانت هناك أكثر من عائلة تحكم في وقت واحد ؟ أم كانت هناك مجموعة من العوائل تتوالى على حكم هذه الدولة ؟ ونجد أيضا فراغات بين حكم وآخر . ولذلك بينما نجد بعض المؤرخين يختصرون الفترة الزمنية لملكمة من الممالك ، نجد آخرين يرفعونها الى أضعاف ما يراه الفريق الأول . ولذا فإن ما يمكن أن نستنبطه هو أن تاريخ جنوب الجزيرة العربية خاصة لا يزال غير مستقر ، ويحتاج الى دراسات كثيرة واكتشافات أكثر لنصل الى الحقيقة أو قريب منها .

الجنوب قبل الإسلام

بقلم : الدكتور عبد الرحمن الانصاري

وقبل حديثنا عن تاريخ جنوب الجزيرة نود أن نحدد الفترة التي تشمل تاريخ دول هذه المنطقة وتمتد حوالي ١٥٠٠ عام ، تبدأ من بداية الألف الأول قبل الاسلام وتنتهي بظهور الاسلام . ويمكننا أن نقسم هذه الدولة الى قسمين : دول ما قبل الميلاد ودول ما بعد الميلاد . ونقسمنا هذا لا يعني انقطاع الاستمرار الزمني لهذه الدول ببداية الميلاد ، ولكن الهدف من ذلك هو توضيح معالم تاريخ جنوب الجزيرة بمعالم زمنية تفرق بين دور وآخر .

دول ما قبل الميلاد

والدول التي يمكن أن نوضع تحت هذا العنوان هي : دولة معين ، ودولة سبأ ، ودولة قتيان ، ودولة حضرموت ، وهذه هي أم الدول البارزة . وهناك دول أخرى ربما تبدو لنا في الوقت الحاضر أقل شأنًا كدولة أوسان ، ولعل الاكتشافات الأثرية تبدي لنا الشيء الكثير عنها في المستقبل .

دولة معين

دولة معين هي إحدى الدول التي قامت في جنوب الجزيرة في المنطقة التي تسمى بالجوف ، وكانت عاصمتها «قرنا» وهي التي جاء ذكرها في الكتب القديمة باسم «كرنا» . وقد شذت دولة معين عن المنهج الذي نجد دول الجنوب قد سارت عليه ، وهو البدء بعهد مكربي ثم بعهد ملكي ، فما عرفناه عنها يدل على انضوائها تحت عهد ملكي فقط . وقد يكون من المحتمل أن مرت معين بالعهد المكربي ، ولكنها لم تسجله لأن هذا العهد لم يكن من القوة والوضوح بحيث يفرض نفسه على تاريخها ، أو أنها بدأت بعهد ملكي منذ البداية تأثراً بدول الشمال التي كانت على صلة وثيقة بهم ، وخاصة دول الحبان ، وممالك شمال الجزيرة التي كان بينها وبين الآشوريين صراع .

ومعلوم أن العهد المكربي هو العهد الذي يجمع فيه رئيس الدولة بين السلطة الدينية والزمنية ، أما العهد الملكي فهو العهد الذي انفصلت فيه سلطة الناحية الدينية عن الناحية الزمنية .

وهناك خلاف بين المؤرخين حول زمن قيام دولة معين . والذي عليه المؤرخون المحدثون هو أن دولة معين نشأت كدولة في منتصف القرن

السادس قبل الميلاد ، واستمرت حتى مطلع القرن الأول الميلادي . وهذا التاريخ مغاير للتاريخ الذي ذهب إليه المدرسة القديمة وإرجاع قيام دولة معين إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد .

وهناك مسألة أخرى نواجهها ، وهي توسع دولة معين شمالاً ، وهو توسع اقتصادي بحث ، وذلك بين القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد . وعلى الأرجح أن نفوذها قد وصل إلى مدينتي العلا ومدائن صالح ، حيث تركت نقوشاً كثيرة . وقد ظهر في هذه النقوش أسماء أربعة ملوك معينين . وهنا تظهر المشكلة : فإذا سلمنا بالرأي الذي يقول أن دولة معين عاشت في هذه المنطقة مدة قرنين ، يدل ذلك أن كل ملك من هؤلاء الملوك حكم حوالي خمسين عاماً ، وهذا ما نشك فيه . ولكننا يمكن أن نفسر هذه الظاهرة بأن المعينيين لم يسجلوا كل تاريخهم في هذه المنطقة ، وإنما نقشوا ما يتصل بالحوادث المهمة التي حدثت في هذه المنطقة .

وهناك بعض المؤرخين الذين لا يعتقدون أن وجود دولة معين في الشمال يعني انقضاء دولة « بني لحيان » ، وإنما حصل هناك اتفاق بين الطرفين على أن يكون للمعنيين الناحية التجارية ، وأن يكون للحبانين الجانب الإداري وتنظيم شؤون الحكم . ثم دالت دولة معين على أيدي الأنباط في الشمال ، وبدأ حكم الأنباط في هذه المنطقة .

دولة سبأ

يعتبر تاريخ سبأ أكثر وضوحاً وأغزر مادة من تاريخ غيرها من دول الجنوب . والباحث في تاريخ سبأ سيجد منابع كثيرة يستمد منها أخبار هذه الدولة التي أصبح لها شأن في المنطقة ، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم . وفي التوراة التي تحدثت عن نسلهم وصلاتهم الاقتصادية بأفريقيا وأهم السلع التي كان السبئيون يحملونها إلى حوض البحر الأبيض المتوسط ، وذكرت قصة ملكة سبأ وذهابها إلى فلسطين . والمؤرخون اليونان أيضاً كتبوا عن أخبار السبيين واستقوا كثيراً من معلوماتهم من التجار الذين كانوا يذهبون إلى أسواق اليمن من الملاحين الذين كانوا يتنقلون بالتجارة في البحر الأحمر ، وقد أيدت الدراسات الحديثة ما جاء بها . ولذا استطاع المؤرخون أن يميزوا بين عهدين من تاريخ سبأ :

العهد الأول : بناء على ما تراه المدرسة الحديثة ، وهو الميل إلى تقريب تاريخ سبأ ، يمكن تحديده بين حوالي سنة ١٥٠ و ٤٥٠

قبل الميلاد ، ويمتاز بأنه كان حكماً دينياً إلى حد كبير وزمناً أو سياسياً إلى حد أقل ، وكان حكام سبأ يتخذون لقب « مكرب » ، وكانوا هم أنفسهم زعماء الكهنة في المجتمع السبئي . غير أن هذا العهد كان عهد تكوين في تاريخ سبأ عرف بالحروب الكثيرة التي تمخضت عن استقرار طويل ، وتكون إمبراطورية سبئية . وأشهر مكربي هذا العصر « كرب آل وتر » وهو الذي استطاع أن يخضع كل القبائل لسلطان سبأ . وما كان السبئيون يخلصون من هذه الحروب حتى بدأوا يلعبون دوراً كبيراً على مسرح الحياة الدولية ، وكانت عاصمة دولتهم في هذا العهد هي « صرواح » .

العهد الثاني : يبدأ من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الأول قبل أو بعد الميلاد على خلاف بين المؤرخين ، وهذا العهد يتميز عن العهد السابق بأمر :

ان عاصمة الدولة السبئية انتقلت إلى مدينة جديدة هي « مأرب » قرب صنعاء . ان الملكية السبئية لم يعد يغلب عليها الطابع الديني .

ان الزراعة تطورت ، وتنوعت موارد الثروة الاقتصادية ، ونمت التجارة اليمنية ، فاستطاعت مملكة سبأ أن تحتكر تجارة التوابل . وقد ظلت سبأ متفوقة في النواحي الزراعية حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد ، حينما خرجت بعض القبائل اليمنية ، ومنها حضرموت وقيتان ، على زعامة سبأ ، بل أخذت القبائل المؤسسة لدولة سبأ تتنازع من أجل العرش . وفي وسط هذا الاضطراب نمت قوة قبيلة « حمير » ، وهي من القبائل المؤسسة فورثت مملكة سبأ ووحدت القبائل اليمنية وأسست ما عرف بدولة « حمير » .

ونظام الحكم في مملكة سبأ بعهديهما لم يختلف عن روح النظم السابقة ، بمعنى أن الحكم كان حكماً قليلاً ، الملك فيه لقبيلة سبأ ، بينما تحتفظ القبائل الأخرى والمدن الداخلة في طاعة سبأ باستقلالها المحلي . والقبيلة السيدة تعمل على توحيد بين المجتمعات القبلية والمجتمعات المدنية ، وقد استطاعت سبأ عن طريق استغلال موارد الزراعة والتجارة أن تؤسس حلفاً قليلاً ، وقد وصلت الحضارة في هذا العصر إلى درجة عظيمة من الرقي والتفوق وبسبب استقرار الأجوال السياسية . كما تنوعت موارد الثروة فأصبحت تشكل الموارد الزراعية إلى جانب الموارد التجارية . ويظهر أثر ذلك الثراء في الفن السبئي القديم

الذي امتاز بتفوقه هندسيا ومعماريا . واستطاع السينيون أن يستغلوا الموارد الطبيعية وأن يبتدعوا نظاما معينا للاستفادة من مياه الأنهار والسهول ، فبنوا سد «أرب» المعروف والوارد ذكره في القرآن الكريم .

دولة قتيان :

تاريخ هذه الدولة يحوطه كثير من الغموض ، ذلك لأن معاصرتها لدولتين كبيرتين لهما سلطة واسعة ونفوذ كبير ، وهما دولة سبأ ، ودولة معين ، كان عاملا من عوامل عدم بروز تاريخها ، بالإضافة الى أن ما جمع حتى الآن من نقوش وما أجريت من حفريات لمعرفة تاريخ هذه الدولة لم يكن كافيا لمعرفة الكثير عنها . ولكن على الرغم من قلة المصادر عنها فقد تجمع لدينا المعلومات التالية :

كانت عاصمة مملكة قتيان هي « تمنع » ، وهي المعروفة الآن « بكحلان » التي أجريت فيها حفريات أمريكية في عامي ١٩٥١ و ١٩٥٣ ، وعلى هذه الحفريات استند « أولبرايت » على تأريخه لهذه الدولة وحدد قيامها بين القرن السابع والقرن الخامس قبل الميلاد بالنسبة لعهدا المكربي ، وهو معاصر لتاريخ العهد الأول للدولة سبأ . أما العهد الثاني فيقع بين القرن الخامس والقرن الأول قبل الميلاد . وفي هذا العهد لم يعد يغلب على الدولة الطابع الديني . أما « جاكين بيرين » فقد أرخت لقيام هذه الدولة بين عامي ٤٥٠ و ١٨٠ قبل الميلاد ، على أن ينتهي العهد الأول لها حوالي عام ٣٠٠ قبل الميلاد . أما « فيليب حتي » و « موسكاتي » فقد أرخا لقيام دولة للقتانيين ما بين عامي ٤٠٠ و ٥٠ قبل الميلاد .

وعلى الرغم من أن المؤرخين الثلاثة يميلون الى تقريب فترة دولة قتيان ، الا أننا نرى أن التأريخ الذي اقترحه « أولبرايت » أقرب الى الواقع ، وخاصة اذا ما سلمنا بوجود عهد مكربي للدولة قتيان شبيه بالعهد المكربي للدولة سبأ ، بالإضافة الى أن تاريخ « أولبرايت » يعتمد على حفريات أثرية وفحوص معمليّة .

وكانت مملكة قتيان تقع شرقي منطقة عدن ، ولا نستبعد أن تكون هذه الدولة قد وصلت الى مرحلة كبيرة من التفوق في مجال الحضارة والرفق . وقد عرف عنها تجارتها في التوابل ، كما عرف عنها رقيها المعماري وهندستها في المباني ، وحفرها القنوات واتباعها أسلوبا متطورا في الزراعة . وهذا ما تشهد به حفريات « تمنع » . وقد جاء ذكر دولة قتيان في الكتب اليونانية على أنها إحدى

الدول ذات النشاط التجاري بين القرن الخامس والقرن الأول قبل الميلاد .

أما بالنسبة لما رواه العرب عن حضارات الجنوب فأننا لا نجد فيه شيئا عن دولة قتيان . ولا نستطيع أن نعلل هذه الظاهرة الا بأن هذه الدولة قد انتهت قبل الميلاد ولم يكن لها دور قيادي في جنوب الجزيرة ، لذلك لم تعش أخبارها كما عاشت أخبار سبأ . ومن تاريخ دولة قتيان نستطيع أن نعرف أنها قد تعرضت لاحتلال سيني ومعيني من آن لآخر ، الا أنها كانت تدفع عن نفسها هذه الغارات في كثير من الأحيان .

مملكة حضرموت :

المشكلة التي واجهناها بالنسبة لتحديد زمن مملكة قتيان هي التي تواجهنا أيضا بالنسبة لدولة حضرموت ، والأسباب هي الأسباب نفسها لأن ندرة النقوش التي تحدثنا عن تاريخ مملكة حضرموت تاريخا مفصلا يجعلنا لا نستطيع أن نحدد قترتها التاريخية وإن تعيق تسلسل ملوكها . وقد حدد « موسكاتي » تاريخ مملكة حضرموت ما بين ٤٥٠ قبل الميلاد ونهاية القرن الثاني الميلادي ، وحدد « أولبرايت » تاريخها ما بين عام ٤٥٠ قبل الميلاد والقرن الأول قبل الميلاد . أما « جاكين بيرين » فإنها على الرغم من أنها لم تحدد فترة معلومة لدولة حضرموت فإنه يمكن الاستنباط ، من خلال نقاشها ومن خلال دراستها لحروف جنوب الجزيرة أنها أرخت لتاريخ حضرموت الفترة نفسها التي أرختها لدولة قتيان .

وقد جاء ذكر دولة حضرموت في كتب اليونان على أنها إحدى الدول ذات التجارة والاتصال بالعالم الخارجي ، وقد صاحبت هذه الأخبار صورة نقلت عن التوراة ، وهي أن كلمة حضرموت تعني « وادي الموت » ، وانتقلت هذه الفكرة الى العرب ، كما ذكر ذلك ياقوت عن ابن الكلبي . وقد جاء ذكر حضرموت في النقوش المعينية وفي النقوش السبئية وذكرها في هذه النقوش يدل على أن هناك علاقات يمكن أن تعلل بأنها علاقات حربية في المكان الأول ، وعلاقة تجارية وثقافية في المكان الثاني .

وعاصمة مملكة حضرموت هي « شبوه » . وقد كان لدولة حضرموت دور تجاري في جنوب الجزيرة ، ليس برا فقط ، وإنما أيضا عن طريق البحر . ولا نشك في أن سفنها كانت تنقل بضائع من الخليج الغربي ، ومن بلاد الهند ، ومن شرق أفريقيا . ومن أهم حاصلات بلاد حضرموت اللبان ، والبخور ، والمر . ومن خلال

دراستنا للنقوش وجدنا اسم « سن » وهو يرمز الى القمر الذي كان يعبد الوثنيون المتخلفون . ووجود اسم « سن » في جنوب الجزيرة يعطينا فكرة عن العلاقات الوطيدة بين جنوب الجزيرة وبين بلاد الرافدين . ويرجح أن التجارة التي كان يقوم بها الحضرميون الى منطقة بلاد الرافدين جعلتهم ينقلون اسم « سن » الى منطقتهم . ولا يستغرب ذلك اذا عرفنا أن القمر هو أحد العوامل التي تساعد البحارة على سلوكهم ليلا .

دولة مملكة الحيرة

دولة حمير :

كانت تجارة الهند الزابحة تنقل بحرا حتى شاطئ حضرموت ، ثم تنقل برا من هذا الشاطئ على ظهر القوافل حتى مدينة مأرب عاصمة سبأ ، ثم الى مكة ، ثم الى أسواق حوض البحر الأبيض المتوسط . ولكنه حدث تغيير في طريق التجارة ، فأصبحت السفن تجتاز البحر الأحمر ، وتركت الطريق البري ، وكان انتقال التجارة على هذا النحو سببا في ضعف مملكة سبأ لأنها حرمت من هذا المورد العظيم . وأخذت التجارة البحرية الجديدة تؤوّل الى شعب آخر يقع على ساحل البحر الأحمر مباشرة ، وهو شعب حمير . ونحن نعرف أن قبيلة حمير هي إحدى العناصر المكونة لحلف سبأ ، ومن ثم لمملكة سبأ . وكان هذا العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي ساعدت على قيام ما عرف بدولة حمير ، كما ساعد على بسط سلطانه على مناطق متعددة في جنوب الجزيرة العربية ، فورثت ملك سبأ ، واتخذت لنفسها اسما ، هو ما عرف بمملكة « سبأ وذو ريدان » .

ويمكننا أن نعتبر هذه المرحلة من المراحل التاريخية في جنوب الجزيرة العربية مرحلة ثالثة أو عهدا ثالثا من عهود الحكم السيني . وبهذا يمكننا أن نتصور التطور الذي حدث على نظام الحكم في مملكة سبأ ، اذ ابتداء بالعهد المكربي ، ثم بالعهد الملكي ، وانتهى الى هذا العهد الذي يفهم منه ضعف سيطرة قبيلة سبأ ، وعدم قدرتها على الاستمرار في الحكم كقاعدة للحلف السيني ، ولكنها بما لها من مكانة استطاعت أن تحتفظ باسمها وإن سلمت الدور القيادي لقبيلة أخرى ، هي قبيلة حمير .

ويظهر أن الحميريين قد تفوقوا في التجارة البحرية الى حد بعيد ، حتى أصبحوا سادة البحر

الأحمر في هذا الميدان . وقد حاول بعض المؤرخين المقارنة بين الحميريين والفينيقيين ، فكلمة حمير في نظرهم مشتقة من الحمرة ، وهي طابع الشعوب السامية والفينيقيون أخذوا اسمهم من « فونيكس » ومعناها أيضا حمرة اللون ، واستنتجوا من ذلك أن هناك صلة بين الحميريين والفينيقيين القدماء في النسب ، للتشابه في هذا التفوق البحري الذي وصل اليه الحميريون كما وصل اليه الفينيقيون . ولكن هذا النشاط البحري ليس بغريب على شعوب جنوب الجزيرة ، وهم الذين سيطروا سيطرة تامة على البحر العربي ، وعلى التجارة القادمة من الهند ومن شرق أفريقيا ومن بلاد النهرين عن طريق الخليج العربي . ولذلك لا نستبعد أن يستمر هذا النشاط البحري في دول الجنوب ، وخاصة ان مصدر رزقهم أصبح يعتمد الى حد كبير على الملاحة البحرية . فلا بد لهم أن يتقنوا هذا النوع من وسائل التجارة والا تعرضوا لخطر الاندثار كما اندثرت دول الشمال رويدا رويدا اثر تحول الطريق التجاري من البر الى البحر .

وهناك نقاش طويل بين المؤرخين حول بداية تاريخ مملكة حمير ، وذلك لعدم قدرتهم على معرفة آخر ملك سبئي وأول ملك حكم من قبيلة حمير . وقد أوصل بعضهم بداية تاريخ دولة حمير الى القرن الأول الميلادي ، ولكن عامة المؤرخين يميلون الى تحديد بدايته من عام ١١٥ قبل الميلاد . وكثير من المؤرخين يعتقدون أن « ذوريدان » اشارة الى قتيان وان كنا نشك في ذلك بعض الشك لأنه لا مانع من أن تحتفظ قبيلة قتيان باسمها في الحلف الجديد ، كما فعلت مملكة حضرموت فيما بعد ، ومملكة سبأ من قبل . واذن فمن المحتمل أن تكون « ذوريدان » هي احدى القبائل التي كان لها دور في تكوين هذا الطور الجديد من أطوار مملكة سبأ ، والتي فرضت على النظام الجديد اسمها . وصلة النسب والدم بين قبيلة حمير وبين الممالك العربية السابقة ، وفي مقدمتهم مملكة سبأ ومملكة معين ، جعلت قبيلة حمير ترتز ملكهم وثقافتهم ، بل وتجارهم . كما ان لغة حمير وكتابتها لا تختلف كثيرا عن لغة سبأ ومعين وكتابتهما . وكانت عاصمة مملكة حمير هي « ظفار » شمال شرقي ميناء « مخا » الميناء الذي يقع على البحر الأحمر . وحلت هذه العاصمة الجديدة محل « مأرب » عاصمة سبأ و « قرنا » عاصمة معين ، ولا زالت آثارها باقية بالقرب من مدينة « ياريم » .

ومنذ حوالي سنة ٣٠٠م أصبح اسم مملكة سبأ كما يلي : « مملكة سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنة » ، ثم تطور الاسم بعد ذلك بسنوات قليلة الى اسم « مملكة سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنة وعربهم في الجبال ونهامة » . وقد غزا الأحباش المنطقة ما بين سنة ٣٤٠م وسنة ٣٧٨م ، وأطلق على ملك حمير بعدئذ اسم « ملك السدم وحمير وريدان وحشه وسلم ونهامة » . وهذا ليس أول غزو حبشي للمنطقة بل سبقته غزوات في القرن الثاني والثالث الميلاديين ، ولا يستبعد أن يكون الأحباش قد استقروا في المنطقة بعض الوقت .

وكانت بلاد اليمن أو جنوب الجزيرة مقسمة الى اقطاعات كبرى ، كل واحدة منها لها حصن كبير يحميها ويدافع عنها ، وعلى رأس كل اقليم منها رئيس عرف عند العرب « بتبع » . وعرف من بين هؤلاء التابعة « أبوكرب أسعد كامل » الذي حكم بين سنة ٣٨٥ وسنة ٤٢٥م . وتعزو الكتب العربية الى هذا التبعية أخبارا كثيرة عن فتوحاته ، فقد ذهب شرقا حتى حدود الصين ، وشمالا الى بلاد القوقاز . وكل هذه أحاديث لا يمكن تصديقها ، ولا نعرف مصدرها ، الا أن يكون خبر التابعة قد وصل الى العرب عن طريقين ، اما عن طريق الرواية ، أو عن طريق القبائل العربية التي هاجرت من الجنوب ، والتي كونت مملكة « كندة » في وسط الجزيرة العربية و « الغساسنة » في الشام و « المناذرة » في العراق . ومصدر ثالث يمكن أن يكون العرب قد استقوا منه أخبارهم ، وإن لم تكن دقيقة ، كل الدقة ، وهي النقوش التي كان يعرفها بعضهم . وكل ما يمكن أن تدلنا عليه هذه الروايات ، أو ما صح منها ، هو بعض أسماء هؤلاء التابعة .

ويبدو أن الحميريين قد استفادوا من التجارب السابقة التي مرت بها الممالك القديمة ، وتحصنوا داخل قلاعهم التي سماها العرب بالقصور . وقد انتشرت هذه القصور في اليمن في العصر الحميري ، حتى عرفت عند العرب ببلاد القصور . وقد بقيت هذه القصور حتى عهد المؤرخ « الهمذاني » ، فوصف أطلالها ، وقال انها كانت تتألف من عشرين طابقا ، وكان ارتفاع كل طابق عشرة أذرع ، وقد بنيت من الرخام والجرانيت ، وكانت لها أربعة أوجه لكل وجه لون خاص . غير أن هذا الرخاء الذي صاحب ملك

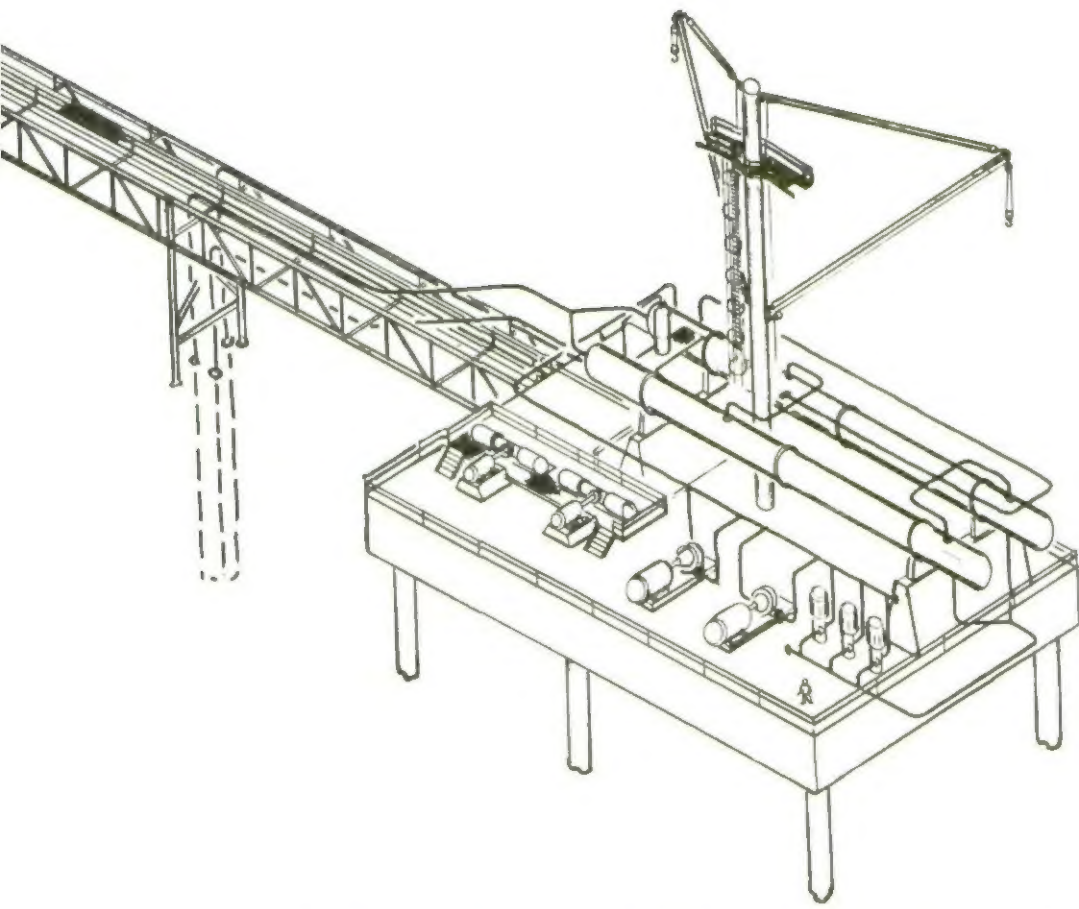
الجنوبيين لم يدم طويلا ، بل بدت بعد فترة ظواهر تنذر بنهايته . وذلك أن الحميريين عندما سيطروا على الطريق التجارية ، واحتكروا تجارة التوابل والبخور ، كانوا قد رفَعوا أسعارها ، وفرضوا عليها الضرائب الباهظة . ولما كان العالم القديم لا يستطيع الاستغناء عنها ، لذلك عمدت بعض الدول الى أن تتدخل في هذا الميدان التجاري وتقضي على هذا الاحتكار .

ويرى المؤرخون أن دخول الرومان الى ميدان الملاحة في البحر الأحمر كان من أهم الحوادث في العصور القديمة . وقد طمع الرومان في انتزاع هذه التجارة بصفة نهائية من يد العرب ، ففتحو الشرق الأدنى ، واستولوا على رؤوس الأموال والأسواق الهامة وطرق التجارة ، وحولوا الطريق البري منها الى البحر . وبهذا فقد الحميريون موردا من موارد الرزق . ثم ظهر عامل آخر ، وهو النزاع بين الفرس والروم ، وقد ظهر بصورة واضحة بعد قيام الروم بفنوحاتهم الأخيرة . وكان هدف روما هو ضم بلاد العرب الى مجموعة ممتلكاتها .

والعلا الثالث كان عاملا دينيا ، فقد اعتنق الأحباش النصرانية ، مما أدى الى تحالفهم مع البيزنطيين أو الرومان بشكل عام ، ووقوفهم جنبا الى جنب في وجه النفوذ الفارسي . وقد وجد هذا الحلف الحبشي البيزنطي فرصة للتدخل في شؤون اليمن ، وذلك بأن حدث صراع بين النفوذ اليمني وبين النفوذ الحبشي المسيحي البيزنطي على أثر تنكيل اليهود اليمنيين بالمسيحيين في مذبحه « نجران » التي جاء ذكرها في القرآن الكريم « أصحاب الاخدود » ، فدفت الدولة البيزنطية الأحباش الى غزو البلاد سنة ٥٢٣ ميلادية ، وأمدوهم بالسفن اللازمة التي نقلت قواتهم الى بلاد اليمن ، فدخلوا مدينة صنعاء ونجران ، وقضوا على الدولة الحميرية .

ثم ظهرت الوطنية اليمنية مرة أخرى بقيادة « سيف بن ذي يزن » الذي استطاع أن يتحالف مع الفرس ، ويستعين بهم على طرد الأحباش ، غير أن بلاد اليمن لم تتخلص من النفوذ الحبشي الا لتقع تحت النفوذ الفارسي . واستمر هذا النفوذ حتى سنة ٦٢٨ ميلادية حينما اسلم عامل الفرس على اليمن ، ودخلت بلاد اليمن تحت لواء الدولة الاسلامية ، واستطاع عرب الشمال أن يوحدوا شعوب الجزيرة تحت راية الاسلام الذي جمع قلوبهم على التوحيد والخير والسلام ■

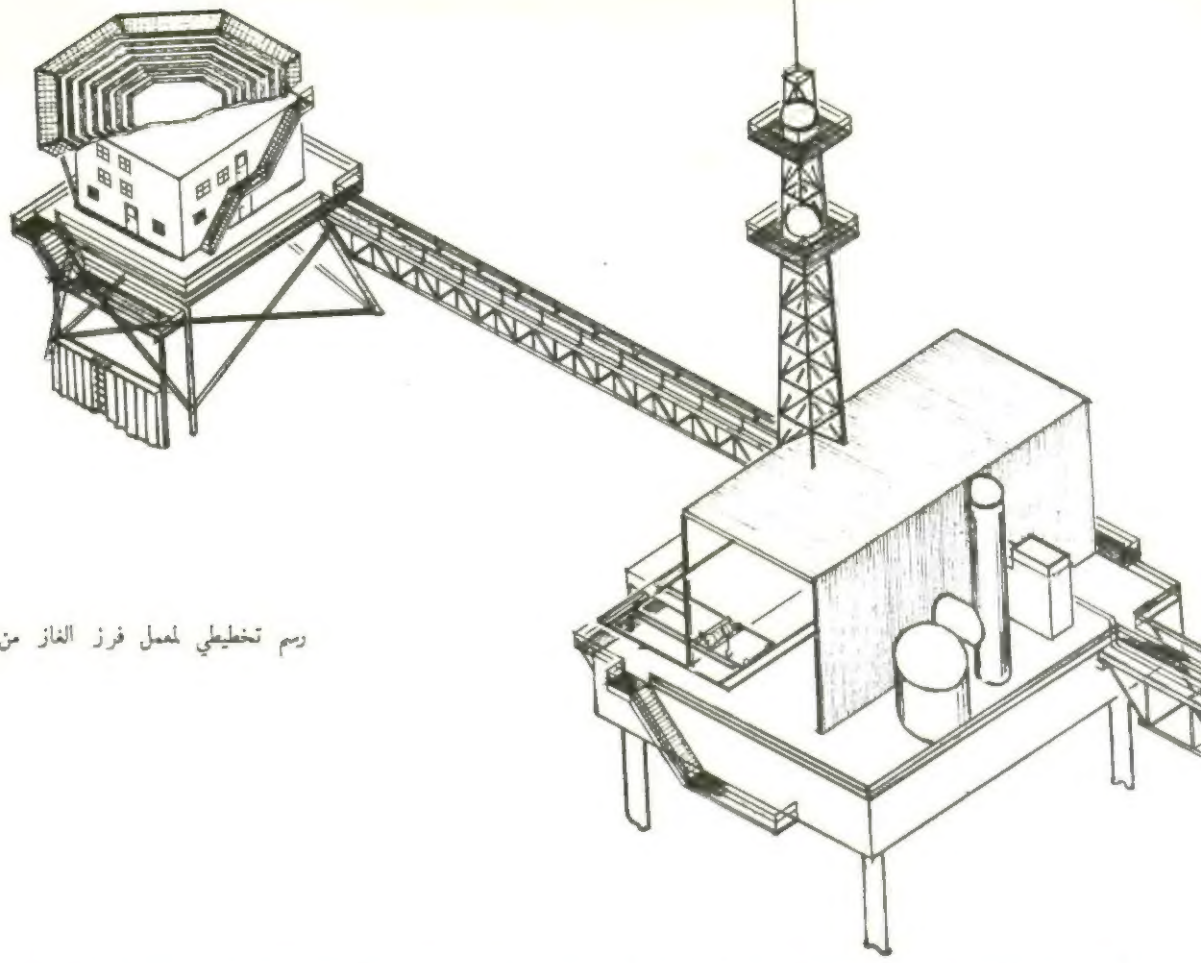
مَعْمَلُ عَائِشَة لِفِرْزِ الْغَازِ مِنَ الزَّيْتِ



هكذا يعمل العائم ، الذي يعتبر أول معمل من نوعه تملكه أرامكو في المنطقة المغمورة ، هو عبارة عن منصة ضخمة مزودة بالأجهزة والمعدات الرئيسية الخاصة بعملية فرز الغاز من الزيت . وهذه المنصة بدورها ، تتكون من منصتين يبلغ طول احدهما نحو ٤٠ مترا وعرضها نحو ٢٤ مترا ، والأخرى يبلغ طولها نحو ٢٨ مترا وعرضها نحو ٢٤ مترا . وقد أضيفت الى هاتين المنصتين منصة ثالثة خاصة

بمعمل الفرز الأخرى القائمة في المنطقة المغمورة ، في مواجهة الطلب المتزايد على زيت السفانية الغني بزيت الوقود الذي تحتاج اليه الصناعات الثقيلة ، ورفع الطاقة على الانتاج في تلك المنطقة . وقد وصلت هذه الوحدة المتكاملة الأجزاء التي استغرق بناؤها نحو ثمانية أشهر ، والتي قامت بصنعها شركة « ساببو » اليابانية للصناعات الثقيلة ، في منتصف مايو ١٩٦٨ بعد رحلة استغرقت زهاء ٤٥ يوما .

شهرت المنطقة المغمورة في السفانية خلال السنوات القليلة الفائتة نموا مطردا في أعمال التنقيب ، وتطورا ملحوظا في مرافق الانتاج والمعالجة . وكان من أبرز هذه التطورات اجتلاب شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) معملا عائما لفرز الغاز من الزيت واقامته في بقعة تبعد ٤٥ كيلومترا الى الشمال الشرقي من حقل السفانية في مياه الخليج العربي ، ليسهم الى جانب



رسم تخطيطي لمعمل فرز الغاز من الزيت العائم لدى أتمامه .



المعمل العائم لدى وصوله الى فرضة السفينة قبل القيام بتركيب أجزائه .



المنصة الخاصة بمكاتب الموظفين وقد جرى فصلها عن المنصة الرئيسية ، للمعمل العائم .

بمرفاق السكن . وترتكز هذه المنصات الثلاث على إحدى عشرة دعامة تزن نحو ٧٧٠ طناً ، ويربط بعضها ببعض ممرات فولاذية صنعت خصيصاً لهذا الغرض .

والغرض الرئيسي من إقامة هذا المعمل العائم ، الذي تبلغ طاقته ٤٥٠.٠٠٠ برميل يومياً ، ووزنه الكلي ٤١٠٠ طن ، انجاز عملية فرز الغاز من الزيت الخام المتدفق من الآبار الواقعة شمالي السفانية بشكل أسرع ، والسماح لكميات أكبر من الزيت بالتدفق عبر خطوط التجميع الرئيسية ، وبالتالي رفع الطاقة على الانتاج في حقل السفانية بمقدار ١٠٠.٠٠٠ برميل يومياً .

والمعروف أن حقل السفانية يعتبر أكبر حقل مغمور بالماء في العالم ، وأول حقل مغمور تم اكتشافه في الشرق الأوسط ، اذ يبلغ ما ينتجه يومياً نحو نصف مليون برميل ، ويتميز زيتة عن غيره من حقول المملكة العربية السعودية بعدم احتوائه على غاز كبريتيد الهيدروجين وباحتوائه أيضاً ، على نسبة عالية من زيت الوقود الذي ازداد الاقبال عليه مؤخراً في الصناعات العالمية الثقيلة .

هذا ومن المتوقع أن يباشر هذا المعمل العائم الجديد عمله في أواخر مارس ١٩٦٩ ■

عبدالله الجكشان



منظر آخر لمعمل فرز الغاز من الزيت ، ويبدو بمحاذاة القارب « ليني سيكلي » الخاص بتزويد العاملين على المعمل بالمؤن . تصوير : شيخ أمين

درس من البحرة الشبوية

للشاعر محمد عبد الغني حسن

أيها المتنقل المرتحل
لا تضيق الأرض يوماً بأمرى
قل لمن قد رحلوا عن أرضهم
لكم الأمة عند المصطفى
ابن عبد الله لم يصبر على
ترك البيت وما فيه إلى
ما بقا الحشر في أوطانه
لو لبنا النزل يوماً بأمرى
ففي رحاب الأرض في أكفائها
يا ابن عبد الله ما حشرت على
وجه الصحراء فيه جلدوة
أنت والصديق في الدون الذي
وعيون النجوم من خلفكما
هي في أتراكيا بأحثة
عليها تنفي الذي في صدرها
أو لعل النوق أغمرت طامعا
ك في الغار على وحشة
جاء فتبان قرين نحره
مهم لو ظفروا منك بما
نألوا ككل حصة عكمما
من يكن حاربه الله فمما
كنت في الغار على بيته
نقطة أن الكفي ينصره
لزع الصديق لما سمعت
لم يروا بالقرن إلا راعبا
وأبو بكر على صاحبه
لمحوق بالظفر من صاحبه
أيها البادي في حجره
شهدت ينز من أبيضها
أنت آمنت لمعي حافل
لم تكن لغة فيه حامرا

في ميل الله هذا النخل
عليه في هذه الفصل
لم أول قلوب رحلوا
ولكم فيه المثال الأمثل
بنت الأهلين لما استملوا
نزل تحت آية الرحيل
أه هذه الأهل وجد النهل ؟؟
فلمت في كل صقع منزل
موطن طمع أو مؤمل
يوم (١) ليرأسه لفتحيل
وفيه القبط فميتة جعل
لم تكن قفي فميتة قبل
أع منهجا لظفها والنخل
بمنها هذا الواد القبطيل
ومن الأحقاد ما قد يأكل
يات في جعل قرين بأمل
أنت في حرفة تكميل
وبأيديهم يروح الأمل^{١٢}
بعض الحقة بك والدخل
وأخا - والله - بهم أمقل !
لعدو قد يوسا بأمل
أنتك الآمن بهما لعلوا
فامر الطامعون لا ينخل
أفنه يسي الغار حوقا بأمل
أألو وهو منهم أجهل
قبل عوفيا فيلا ينخل
وهو باله فميتة منخل
وحدة سعلة لا تنفصل
فأعسي مؤلفا لا يفصل
فيه ثلاثة معنى أمقل
فصل الحاضر والمنفصل

(١) كانت الهجرة في خلال شهر تموز « يوليو » وهو على ما هو عليه من شدة القحط في صحراء الجزيرة.

(٢) روت كتب البصرة أن فتان قرين أحاطوا بغار نور وفي أيديهم السيوف والحرابي والعمى.



الأدب البسيط والأدب العسير

في العصور الأخرى ، بل هي موجودة عند أناس آخرين عاشوا في عصور الأدب العربي الزاهرة ولكن على نطاق ضيق .

فالمتنبي مثلا - وقد عاش في فترة من أزهي فترات الأدب العربي يقول في وصفه لأخلاق المرأة هذا البيت :

فان عشقت كانت أشد صباية
وان «فركت» فاذهب ، فما في فركها قصد
يريد أن يقول أن المرأة تحكمها عاطفتها
الحادة الجامحة ، فان أحبت كان حبها قويا
جارفا ، وان كرهت كان كرهها قويا جارفا ،
فمن الخير أن تتجنبه وتذهب عنها ، فيترك المتنبي
كلمة « كرهت » المعروفة السهلة الى « فركت »
الغريبة ، والوزن يستقيم بكرهت كما يستقيم
« بفركت » هذه .

ولكنه الاغراب والتفاسيح واطهار المقدره
اللغوية وكثرة المحصول من مفردات اللغة .

دام هذا الفهم الخاطي فترة طويلة حتى
أوائل هذا القرن العشرين فنجد الشيخ
« ناصيف اليازجي » ، مثلا يؤلف في منتصف
القرن التاسع عشر كتابه « مجمع البحرين » على
نسق مقامات الحريري ، ونجد أمير الشعراء شوقي
يؤلف بعد ذلك كتابه « أسواق الذهب » على
نسق كتابي « أطواق السذهب » للزمخشري و
« أطباق الذهب » للأصفهاني ، والتقليد بين الثلاثة
واضح في الأسلوب والعصر والتسمية أيضا .
ونجد من كتب ذلك العصر ونسقه كتابي
« ليالي سطيج » للشاعر حافظ إبراهيم و « حديث
عيسى ابن هشام » للمولحي .

لا ننكر أن لهذه الكتب وأمثاله قراء يدافعون
عنها ومعجبون يلدنون قراءتها ، ولكنهم ، بلا شك ،
أصبحوا قلة في بلادنا العربية ، ومن حججهم
في الدفاع عنها أن فيها « حصيلة » لغوية كبيرة

الآن في الأدب أن يكون للافصاح والابانة
أي ان الكاتب لديه شيء يريد
أن يقوله ، أي يفصح عنه ويبيته للقارىء .

فاذا رجعنا الى معاجم اللغة وجدناها تقول
ان من معاني الافصاح الطلاقة والحسن :
« لسان فصيح » أي « طلق » ، واللفظ الفصيح
ما يدرك حسنه السمع ، ويقولون « يوم مفصح
بلا غيم » و « استبان الصبح » أي ظهر ، ولا
يمكن أن يكون العسير من الكلام طلقا ولا
المقيد طليقا ولا حسنا .

وتقول المعاجم ان من معاني البيان الظهور
والوضوح ، « فلان أبين من فلان » أي أفصح
منه وأوضح كلاما . ويقولون : « البين الفصيح »
و « بان الشجر » بدا وظهر ، ولا يمكن أن يكون
العسير من الكلام بيتا ولا ظاهرا ولا واضحا .
ولذلك وصف القرآن الكريم بأنه بيان :

« هذا بيان للناس ولينذروا به » ، ووصف بأنه
« الكتاب المبين » ، ولا يكاد يجد القارىء العربي
في أسلوبه مشقة ولا عسرا الا أن يكون عاجزا
عن الفهم .

كان هذا هو الأصل عندما كانت اللغة
العربية يكتبها البلغاء الفصحاء المبينون .

ثم جرت على الأمة العربية وعلى أسلوب
الكتابة العربي أحداث فكرية جعلت هذا
الأسلوب الفصيح البين يسير يتحول الى العكس
والنقيض ، وأصبح الكتاب لا يجدون « الفصاحة »
الا في المحاكاة وتعقيد الأسلوب والاغراق في
المحسنات وإبراز المقدرة اللفظية والتفصيح ، وهي
سمات سادت أسلوب الكتابة العربية في عصور
الركود الأدبي والفكري .

واذا قلنا أن هذه السمة من التعسير والولوع
بالاغراب خاصة من الخواص الأدبية لتلك العصور
التي ذكرناها ، فليس معنى ذلك اننا لا نجدها

بقلم الأستاذ محمود الشرفاوي

تعين المبتدئ على تعلم الأدب كما تعين الكاتب على أن يجد أمامه « مفردات » كثيرة يتخير منها ، ومن حججهم أن قراءة هذه الكتب « رياضة » ذهنية ومظهر من مظاهر البراعة والبريق . لست متحيزا للجديد من الأدب لأنه جديد . فأنا أقرأ « الجاحظ » - و « البيروني » مثلا فأجد فهمهما أيسر من فهم كثير من الكتب التي ألقت في هذه العصور الضحلة من الأدب . وإن جاءت بعدهما ، حتى لو كانت معاصرة . فوق ما عندهما من فهم وإدراك وذكاء وحصيل أدبية وعلمية .

المقامات والسجع

يعتقد بعض الناس أن السجع قرين التعقيد وعسر الأسلوب ، لذلك يزهده في قراءته ويراه طابعا للأدب الذي يسميه هذا البعض « بالأدب القديم » و « المقامات » من الأدب الذي يلتزم فيه كاتبوه السجع ، لذلك اقترن في أذهان كثيرين بالعسر والمشقة . وما أعتقد أن الأمر كذلك ، فأني عسر وأي مشقة يجدها القارئ العادي في مثل هذا الأسلوب المسجوع الذي نجده في مقامات الحريري وهو يصف حاله - في ظرف ولباقة وصدق - عندما فقد « المحبوب الأصفر » الذي يريد به « الدينار » : يقول الحريري (... فمذ اغبر العيش الأخضر ، وازور المحبوب الأصفر ، اسود يومي الأبيض ، وابيض فودي الأسود حتى رثي لي العدو الأزرق ، فحبذا الموت الأسود) .

وفي الأدب المعاصر نجد أسلوب المرحوم « الأستاذ أحمد حسن الزيات » مثلا ليسر مع الصحة والجزالة والتزام السجع إذا لم يكن مفتعلا أو ثقيلًا .

ونجد في أسلوب الدكتور طه حسين مثلا للسهولة مع الخلاوة التي لا تخلو من تكرار سببه أنه يمل ولا يكتب .

ولكي يدرك القارئ إلى أي مدى بلغ اغراب بعض الملتزمين لمبدأ العسر في الأدب العربي ، أذكر هنا على سبيل المثال نماذج لأسلوب ذلك العصر وخصائصه :

« .. قال انزل بنا هنا ، والليل يوارى « حضنا » فنزلنا إلى أن استوهن الليل .. وإذا « رجب » على شيطمة من جباد الخيل ، تندفق به كمارض السيل ، وهو بين ذلك ينادي الليل واهضام الوادي ، واستمر يعلو الحملجة ، على مهرته

المسلحة ، فما أدركناه الا وقد اشمخر الضحى ، وكلت الخيل من الوحي . فنزلنا جميعا عس السروج ، في بعض تلك المروج . حتى اذا انجذب بهر الأنفاس ، وثاب أشر الأفراس ، ثار « رجب » كالرئبال . وقال لا تقسط على أبي حبال . وترك القوم يكسرون عليه أرعاض النبال ...) .

« (اللسان مضغة في عظم . سماها الناس اللسان . وعظموها لفصيلة البيان . فقوّموها بنصف الانسان . عضل نبت من الحلقوم وقتاته ، وثبت في أصل لسانه ، ولبت في السجون ظمء حياته لا يتحرك منه سوى شباته ، رسول العقل في النقل ، وأداة الدماغ في البلاغ ..) .

« (إيّاك والتحام الزحام . ما يعطي زحام لحام . كم حول الحمى حام حام . والقسم قد سام سام ..) (١) .

تناولت ، بمحض المصادفة ، كتاب « يتيمة الدهر » للشعالبي ، وأردت أن أعرف تاريخ طبعه ، فقرأت في ختام الجزء الرابع هذه الفقرة العجيبة : (.. وقد كان الفراغ من طبعه الميمون ، وترصيف جوهره المصون في أواسط العقد الثاني من العقد التاسع من العقد الثالث من العقد الأول من العقد الرابع من العقد الثاني من هجرة المصطفى ... (السخ) .

فماذا فهمت أنا أو فهمت أنت من هذا الكلام ؟ اني لم أعرف منه هذه الحقيقة البسيطة الساذجة وهي سنة طبع الكتاب ، لأن مصححه يريد أن يظهر تعمقه في الأدب بهذا الاغراب والالغاز العجيب الثقيل الذي أضاع وقتي وجهدي ولم أفهم منه شيئا .

هذه نماذج مختلفة لأسلوب ذلك العصر وخصائصه ، وهو أسلوب كان يتخذ مثلا للبلابة وتبريز الكاتب وامتيازته وتفوقه .

اللهو والعلم

ويرى البعض أن لمن يؤلف في العلم أو لمن يضع المختصرات في العلوم أو الفنون ليسهل حفظها ، يرى البعض أن لمن يكتب في هذا وذاك العذر في تسرك السهولة واليسر في الأسلوب .

كما فعل المؤلف الذي يكتب فيقول : « أو ثوب موصوف بصفات السلم فهو بيع للمدعاة من المدعي لغريبه أو اجارة لها بغيرها منه لغريبه أو لغريبها بها من غريبه له » .

ففي العلم الذي قد يكون دأروسه أكثر استعدادا لتحمل المشقة وعسر التركيب . يرى هذا البعض أن الاغراب شيء محتمل .

ولكن هذا الرأي قد فنده عالم قديم هو « حاجي خليفة » صاحب « كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون » الذي قال : (اعلم أن من وضع كتابا انما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح) .

وكذلك نقول : من كتب مقالا أو كتابا فيجب أن يكتبه ليفهم بذاته من غير مشقة في الفهم .

الحف والقصص

وقد كان لهذا المبدأ القائل بأن الاغراب في الكتابة دليل الاجادة والمقدرة الأدبية ، سيطرة كبيرة على كثير من الأدباء أفسدت أذواق بعضهم وخرجت بهم عن طبيعة اليسر التي كانت من سجيتهم الأدبية ، وفي ذلك قول المرحوم الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطي : « .. عرفت فيما مضى من الأيام أدبيا من أكبر أدباء هذا البلد المتضلعين باللغة وفنونها ، الحافظين للكثير الممتع من منظومها ومثورها ، وكان لا يكتب كلمة في صحيفة ولا ينشر في الناس كتابا الا أعجم كتابته وأبهمها وتعمل فيها تمعلا يأخذ على القارئ عقله وفهمه فلا يدري أي سبيل يأخذ بين مسالكها وشعابها .

وكنت أحسبها غريزة من غرائزه الغالبة عليه ، والآخذة من نفسه مأخذ الطبيعة الثابتة ، والملكة الراسخة ، فلا سبيل له إلى التخلص منها والزروع عنها ، حتى اطلعت له عند بعض أصدقائه على كتاب صغير كان قد أرسله إليه في بعض الشؤون الخاصة به ، وكتبه بتلك اللغة السهلة البسيطة التي يسمونها « اللغة العادية » فأعجبت بأسلوبه في كتابه هذا اعجابا كثيرا ورأيت أنه أبلغ ما قرأت له في حياتي من كتب ورسائل ، وعلمت أن الرجل فصيح بفطرته قادر على الابانة عن أغراضه ومراميه كأفضل ما يقدر مقتدر على ذلك ، الا أنه يتكلف الركة والتعقيد في كتابته ويأخذ نفسه بهما أخذا .

ولو أنه أرسل نفسه على سجيتهما فكتب جميع رسائله ومؤلفاته بتلك اللغة الجميلة العذبة التي كتب بها هذا لكان من أعظم الكتاب شأنا وأكثرهم نفعا وأرفعهم صوتا في عالم الكتابة والأدب ... »



ومشاريعها في حقل البترول

حبا لله المملكة العربية السعودية أرضا طيبة وفيرة الخيرات ، ذات ثروات طبيعية هائلة ، ما بين عضوية كالبتروول والغاز الطبيعي ، ومعدنية كالذهب والحديد وغيرها .. وحكومة المملكة ، تمشيا مع سياستها الاقتصادية الرامية الى احلال التوازن بين مصادر الثروة الاقتصادية المختلفة وتطويرها جميعا على حد سواء ، تعمل اليوم على انماء مواردها الاقتصادية الأخرى ، جنبا الى جنب ، مع الثروة البترولية التي تهيمن على اقتصاديات المملكة وتشكل أكثر من ٨٠ في المائة من مجموع واردات الدولة . وعملا بهذه السياسة شرعت الدولة في تهيئة الأسباب لاستغلال الثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية ، الى جانب ثروتي الزيت والغاز الطبيعي الأساسيتين ، وعملت على تنشيط المصانع القائمة وحمايتها ، وتشجيع القطاع الخاص على ممارسة دوره في تنمية الصناعة الوطنية وإضافة لبنات جديدة الى صرحها المتين .

وبما أن وزارة البترول والثروة المعدنية ، بصفتها الحكومية ، لا تستطيع التفرغ الكامل للإشراف المباشر على مشاريع التنمية المتعلقة بالبترول والغاز الطبيعي ومختلف الثروات المعدنية ، واستثمار رؤوس الأموال الأهلية والأجنبية وتسخيرها في هذا المجال ، فقد رأت الحكومة ايجاد مؤسسة خاصة مستقلة عن النظام الروتيني ، تضطلع بهذه المهمة من جهة ، وتكمل ما قامت به وزارة البترول والثروة المعدنية من منجزات في حقول البحث والدراسة والتنقيب من جهة أخرى ، تلك هي « المؤسسة العامة للبترول والمعادن » (بترومين) .

مَا هِيَ بَترُومِين؟

« بترومين » ، هو الاسم المختصر للمؤسسة العامة للبترول والمعادن التي أنشئت في الثالث من رجب عام ١٣٨٢ . وكان الغرض الرئيسي من انشائها هو ايجاد جو صناعي نشط في المملكة العربية السعودية ، وتطوير الصناعات المتعلقة بالبترول والتعدين ، وكسب ثقة أصحاب رؤوس الأموال الأهلية ، وجذبهم الى تجنيد أموالهم في المشاريع الحية ، وكذلك اجتذاب الشركات العالمية وشاركها في هذه المشاريع الصناعية للاستفادة من خبراتها الطويلة في مجال التصنيع ، ومن أسواقها العالمية الواسعة . كما ان من بين أهداف هذه المؤسسة اكساب القوى العاملة المحلية خبرة عملية في حقل الصناعات البترولية والتعدينية والبتروكيماوية .

ويشرف على هذه المؤسسة مجلس ادارة مكون من تسعة أعضاء ، يرأسه وزير البترول والثروة المعدنية نفسه ، ويشترك في عضويته نخبة ممن يتمتعون بكفاءات عالية في شتى مجالات الاختصاص . ويعتبر مجلس الادارة السلطة التشريعية والتفذيذة العليا لهذه المؤسسة .

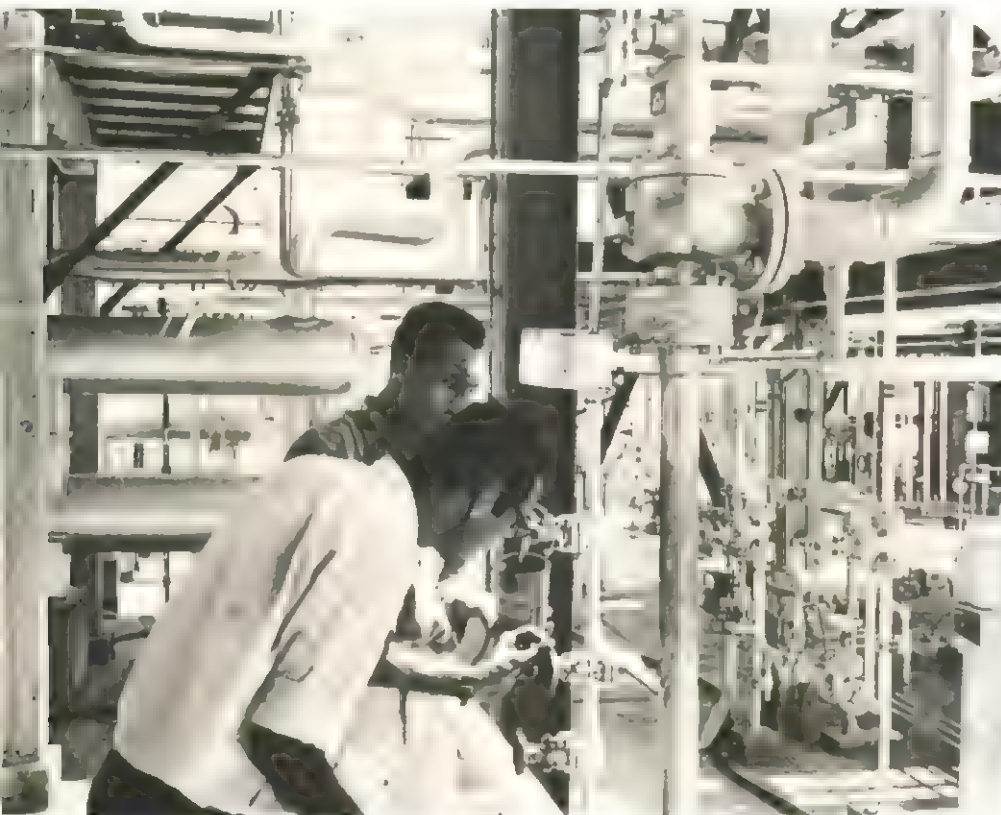
ويقع مركز (بترومين) الرئيسي في مدينة الرياض ، ويعمل فيه نحو ١٥٠ موظفا برئاسة سعادة محافظ المؤسسة الدكتور عبد الهادي حسن طاهر ونائبان له . وتنقسم مشاريع هذه المؤسسة من حيث نوعيتها الى قسمين رئيسيين هما : المشاريع المتعلقة بصناعة الزيت ، والمشاريع المتعلقة بالتعدين . وفيما يلي نتناول أهم الانجازات التي حققتها «بترومين» في مجال صناعة الزيت ، على أن نطرق مشاريع التعدين في عدد لاحق ان شاء الله .

اتفاقيات الحكومة وبَترُومِين

منحت حكومة المملكة العربية السعودية المؤسسة العامة للبترول والمعادن رخصتين انفراديتين للتنقيب عن الزيت واستغلاله في منطقتين مختلفتين من المملكة ، الأولى في الربع الخالي ، ومساحتها ٨٦ ٤٨٩ كيلومترا مربعا ، والثانية على ساحل البحر الأحمر ، ومساحتها ٢٥٠٠٠ كيلومتر مربع . وقد تعهدت «بترومين» ، بموجب هاتين الاتفاقيتين ، القيام بعمليات البحث والتنقيب عن المواد الأيدروكربونية من زيت خام وغاز طبيعي واسفلت خلال ثلاث سنوات قابلة للتجديد في حال عدم العثور على الزيت بكميات



منظر عام لمصفاة « جدة » للبترول ، وتبلغ طاقتها الانتاجية ١٢٠٠٠ برميل يوميا وهي تستخدم زيتا من انتاج آرامكو.



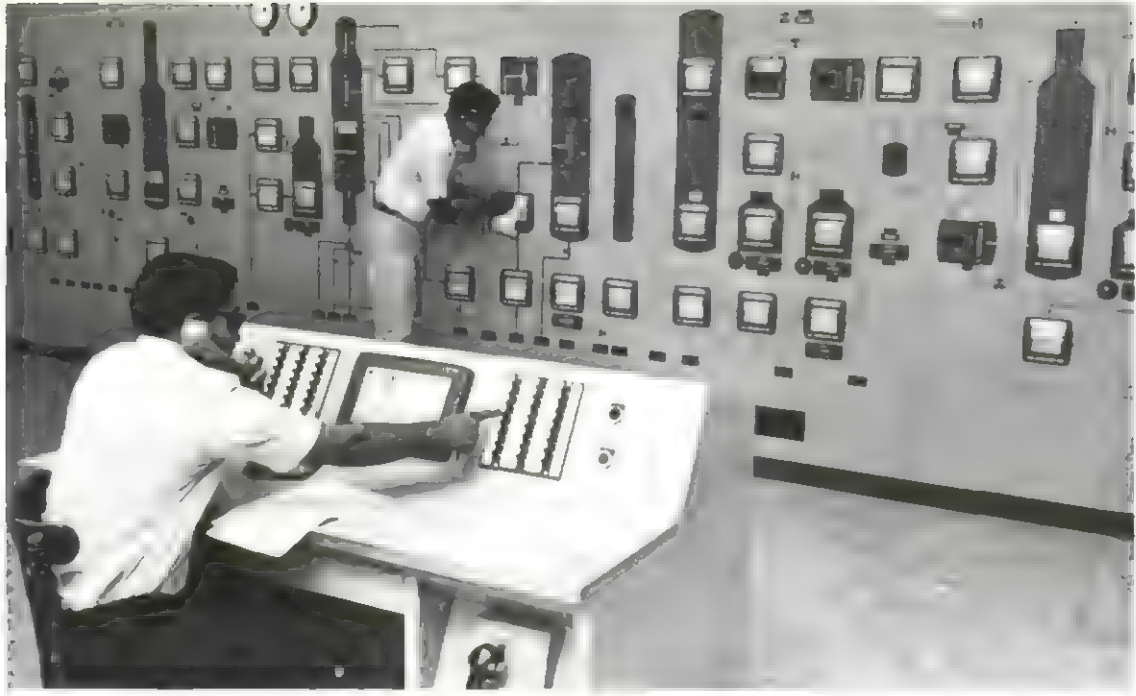
تؤخذ عينات من المنتجات البترولية الى المختبر للتأكد من مطابقتها للمواصفات المطلوبة .



وحدة حفر كاملة ثابتة لشركة الحفر العربية .



منظر عام لمحطة توزيع المنتجات البترولية في جدة .



غرفة المراقبة في مصفاة جدة للبترو .

وغير ذلك من المرافق الأخرى . كما نصت الاتفاقية على أن تعطى أولوية التوظيف في الشركة الجديدة التي عرفت باسم « شركة أجيب العربية السعودية » للعرب السعوديين ثم لمواطني الدول العربية والدول الصديقة ، كما تعطى أولوية تنفيذ الأعمال والمنشآت الخاصة بالشركة للمقاولين العرب السعوديين .

وقد قامت شركة « أجيب » بعقد اتفاقية بينها وبين مؤسسة « فيلبس » الأمريكية للزيت بعد موافقة الحكومة السعودية ، أحالت بموجبها ٥٠ في المائة من حصتها في اتفاقياتها مع « بترومين » على شركة « فيلبس العربية السعودية » المنبثقة عنها ، بكل ما لها من امتيازات والتزامات .

وقد ألحق باتفاقية « بترومين - أجيب » اتفاقية أخرى بين كل من « بترومين » و « انيش » التابعة لمجموعة « ابني » أيضا ، تنص على إنشاء صناعة بتروكيماوية برأسمال مقداره ٩٠ مليون ريال سعودي يساهم كلا الطرفين في رأس المال بالتساوي .

أما بالنسبة للتنقيب عن الزيت على ساحل البحر الأحمر ، فقد منحت حكومة المملكة العربية السعودية شركة « أوكسليز دي لا ريجي أوتونوم ديه بترول » (أوكسليز) الفرنسية ، رخصة منفردة لاستكشاف الزيت والتنقيب عنه في مساحة تبلغ نحو ٢٦ ألف كيلومتر موزعة على ثلاث مناطق ،

عليها جميع حقوقها ومنافعها والتزاماتها المحددة في اتفاقيتها الانفرادية المعقودة مع حكومة المملكة العربية السعودية للتنقيب عن الزيت في رقة امتيازها التي تبلغ مساحتها ٨٦٤٨٩ كيلومترا مسن الربع الخالي .

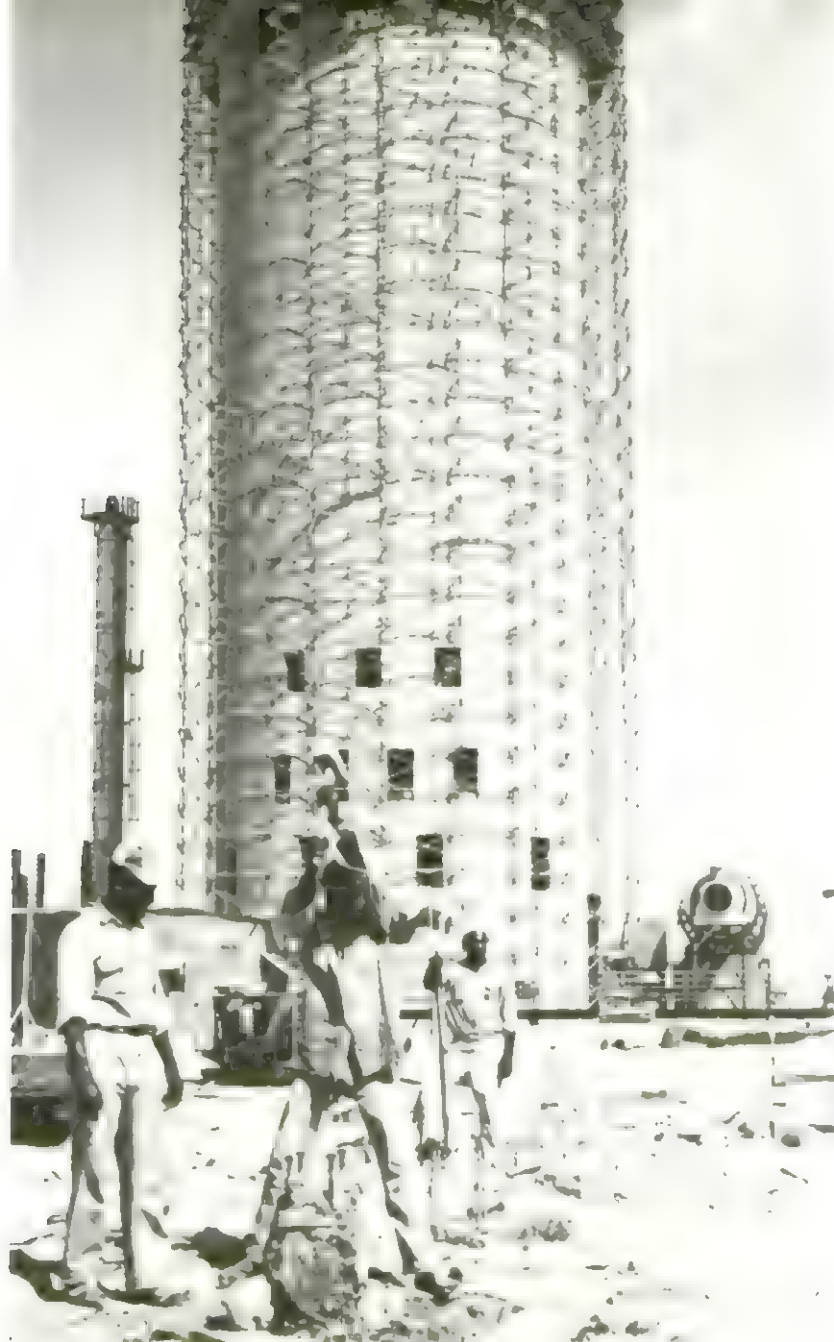
وقد نصت اتفاقية الاحالة هذه على أن تستحصل « بترومين » لشركة « أجيب » خلال فترة أقصاها تسعين يوما ، على رخصة لاستثمار الزيت لدى العثور عليه بكميات تجارية في منطقة الامتياز . كما نصت اتفاقية الاحالة على أن تحيل « بترومين » للطرف الثاني أيضا كامل ما لها من حق الاستفادة من الحصة المشاعة في حق الانتفاع الاقتصادي فيه ، الا اذا أرادت أن تحتفظ لنفسها بحصة مشاعة ، وعندئذ يمكنها الاحتفاظ بين ٣٠ و ٤٠ في المائة من الحق تبعاً لمعدل الانتاج شرط أن تدفع « بترومين » النسبة نفسها من المصاريف التي تكبدتها « أجيب » خلال عمليات الاستكشاف والتنقيب . ومهما تكن الحال تبقى « بترومين » وحدها صاحبة الحق الشرعي في ملكية الرخصة .

ومتى بلغ معدل الانتاج ٢٠٠ ألف برميل يوميا يتوجب على الطرفين وضع برنامج مشترك لاقامة مشاريع بترولية متكاملة تضمن اقامة مصفاة للبترو داخل المملكة العربية السعودية ذات طاقة تصنيعة يبلغ حدها الأدنى ٣٠٠٠٠ برميل يوميا ،

تجارية . أما اذا عثر على الزيت بكميات تجارية ، فان الحكومة تتعهد بموجب الاتفاقية منح « بترومين » امتيازاً لاستثمار المنطقة التي يكتشف فيها الزيت مدة ثلاثين عاما قابلة للتديد عشرة أعوام أخرى . هذا وقد نصت الاتفاقية أيضا على المبالغ التي تدفعها « بترومين » لقاء ضريبة ، وإيجارات ، كما نصت أيضا على أن تقوم بإنشاء مصفاة أو مصاف لتكرير الزيت بطاقة انتاجية لا تقل عن ٣٠ ألف برميل يوميا ، ونقل الزيت الخام على ناقلات تابعة لها اذا وجدت ، والا فالأفضلية تعطى للناقلات الحكومية أو الوطنية . كما تتعهد « بترومين » بتوفير مبلغ ٣٠ في المائة من دخلها الفعلي لاستثماره في عمليات بترولية متكاملة . هذا وقد ذكرت الاتفاقية أيضا المبالغ السنوية التي ينبغي أن تساند بها « بترومين » كلية البترول والمعادن في الظهران في حال العثور على الزيت . وتنفيذا لالتزاماتها الجسام التي شملتها الاتفاقية قامت (بترومين) بانجاز بعض المشاريع وإبرام عدد من الاتفاقيات مع مؤسسات عالمية ، منها :

اتفاقيات التنقيب

في ٢٠ رمضان ١٣٨٧ (٢١ ديسمبر ١٩٦٧) عقدت « بترومين » مع شركة « أجيب » التابعة لشركة « ابني » الايطالية اتفاقية أحالت بموجبها



برج «اليوربا» ويبلغ ارتفاعه نحو ٥٥ مترا . ويتم فيه تحويل اليوربا السائلة الى حبيبات تتجمع في أسفل البرج حيث يجري تبريدها ونقلها بالتالي الى مستودع التخزين تمهيدا لشحنها .

نمليات التوزيع والتسويق

وتعرف باسم «ادارة توزيع المنتجات البترولية» ومهمتها توزيع المنتجات في المنطقة الغربية وفي مناطق الحجاز النائية ، والأخرى في الظهران وتعرف «باسم ادارة بترولين للتسويق» ، وهي تقوم بعمليات التوزيع في المناطق الشرقية والوسطى والشمالية . وتتبع للادارة الأولى محطة التوزيع بجدة التي تضم حاليا ١٩ خزاناً للمنتجات تستوعب ما يزيد على مليون برميل ، ويجري العمل الآن على انشاء خزائين اضافيين سعة كل منهما ١٠٠٠٠٠٠ برميل وذلك تخفيفاً للضغط المتزايد

لقد أحرزت «بترولين» نجاحاً ملحوظاً في عمليات توزيع المنتجات البترولية وتسويقها محلياً . ومن بين الخطوات التي حققتها في هذا السبيل ، شراء محطات التوزيع التابعة لأرامكو في كل من جدة والرياض ، والخرج ، والهفوف والظهران ، وطريف ، بالإضافة الى مرافق تزويد الطائرات بالوقود . وتتولى أمر توزيع المنتجات ادارتان تابعتان لبترولين ، احدهما في جدة

اثنان منها في شمالي البحر الأحمر ، والثالثة في جنوبيه ، وذلك بموجب اتفاقية عقدت في ٣ ذي الحجة ١٣٨٤ هـ (٤ ابريل ١٩٦٥) . كما منحت المجموعة المكونة من «سنكلير أريبيان أول كوربوريشن» و«ناتوماس انترناشيونال للتفقيب في رقعة أخرى على ساحل البحر الأحمر لم تحدد بعد ، بموجب اتفاقية بين الطرفين وقعت في ٢٢ رمضان ١٣٨٧ (٢٣ ديسمبر ١٩٦٧) .



منظر عام لوحدة تحويل الغاز الى آيدروجين (الى اليمين) ووحدتي فصل غاز ثاني أوكسيد الكربون والكبريت (الى اليسار) التابعة لمعمل (سافكو) الذي ما زال قيد الانشاء .



سيارات صهرج تملأ خزاناتها من محطة توزيع المنتجات البترولية في جدة لتحملها الى محطات خدمات السيارات في مختلف أنحاء المنطقة الغربية .

على المحطة . وقد تقرر انشاء محطة أخرى للتوزيع في مكة المكرمة يتوقع انجازها في المستقبل القريب ، كما يجري دراسة انشاء محطات أخرى للتوزيع في كل من تبوك وجيزان ، وخميس مشيط ، أما الادارة الثانية فيتبع لها محطات لتوزيع المنتجات وساحة خزانات ضخمة ، ومرافق لتعبئة الطائرات بالوقود . ففي المنطقة الوسطى تتبع لهذه الادارة محطتا توزيع احدهما في الرياض ، والأخرى في الخرج بالإضافة الى مرفق لتعبئة الطائرات بالوقود في مطار الرياض . ويتم تزويدهما بالمنتجات من محطة التوزيع في الظهران عن طريق سكة حديد حكومة المملكة العربية السعودية . وفي المنطقة الشمالية محطة واحدة للتوزيع . أما في المنطقة الشرقية ، فتوجد محطتان لتوزيع المنتجات واحدة في الظهران والأخرى في الهفوف ، ومرفق لتعبئة الطائرات بالوقود في مطار الظهران ، وساحة للخزانات . ويعمل في عمليات التوزيع والتسويق نحو ٣٦٧ موظفا جلهم من العرب السعوديين .

مركز الزيت

لما كان تكرير الزيت الخام يشكل دعامة رئيسية في صرح صناعة بترولية متكاملة ، فقد كان من الطبيعي أن تلجأ (بترومين) ، وهي صاحبة امتياز لتسويق المنتجات البترولية وتوزيعها في شتى أرجاء المملكة ، الى فكرة انشاء مصاف لتكرير الزيت خاصة بها . وقد اختارت «بترومين» مدينة جدة مقرا لأول مصفاة لها ، وذلك لوقوعها في مركز يتوسط معظم مدن المنطقة الغربية وقراها ، ولوقوعها على شاطئ البحر مما يسهل أمر وصول ناقلات الزيت الخام من رأس تنورة اليها . وقد بدأ الانتاج في هذه المصفاة وأخذ انتاجها يسد معظم احتياجات المنطقة الغربية من المنتجات البترولية . وتتألف المصفاة من ست وحدات رئيسية هي وحدة تقطير الزيت الخام ، ووحدة المبروكس ، ووحدة ازالة الكبريت من البنزين ، ووحدة ازالة الكبريت من الديزل والكيروسين ، ووحدة التقطير تحت الضغط الفراغي ، ووحدة الاسفلت . وتبلغ طاقتها الانتاجية الاجمالية ١٢٠٠٠ برميل يوميا . أما أنواع المنتجات البترولية التي تقوم المصفاة بانتاجها فهي : غاز البترول السائل ، والبنزين الممتاز ، والبنزين العادي ، ووقود الطائرات النفاثة ، والكيروسين ، والديزل ، ووقود المحركات ،

ووقود السفن ، والاسفلت ، وزيت الوقود .
ويعمل في هذه المصفاة بين فنيين واداريين
٢٦٠ موظفا . وقد تعاقدت « بترومين » مع شركة
« يونيفرسال أوليل برودكتس » على تزويد المصفاة
بحاجتها من المهندسين الاستشاريين والفنيين .
ولما كانت شركة المصافي العربية السعودية
« ساركو » قد منحت - قبل انشاء « بترومين » -
امتياز انشاء مصفاة للزيت في « جدة » ، فقد
صدر مرسوم ملكي بتأليف شركة من كل من
« بترومين » و « ساركو » للملكية المصفاة ، تكون
حصة « بترومين » فيها ٧٥٪ من مجموع
أسهم الشركة .

وقد قرر مجلس ادارة « بترومين » انشاء
مصفاة في مدينة الرياض تبلغ طاقتها ١٥٠٠٠
برميل في اليوم الواحد . وقد قدرت تكاليف هذه
المصفاة بحوالي ١٠٠ مليون ريال سعودي يساهم
فيها كل من « بترومين » والقطاع الخاص .
ويجري حاليا اجراء الدراسات الفنية الأولية تمهيدا
لاختيار الموقع المناسب الذي ستقام عليه المصفاة .
وسيم تزويد المصفاة بالزيت الخام من حقل
خربص الذي لا يبعد كثيرا عن مدينة الرياض .
ويتنظر أن تسد هذه المصفاة حاجة المنطقة الوسطى
بأكملها من مختلف المنتجات البترولية .

شركة بترومين لزيت التشحيم

لقد تمّ الاتفاق بين « بترومين » وشركة
« موبيل انفيستمنس » على انشاء شركة لمعالجة
وتكرير وصنع زيت التشحيم وما يتصل بها
من منتجات . وكذلك القيام بجميع عمليات
تسويق هذه الزيوت داخل المملكة وخارجها .
وقد حدد رأس مال الشركة بثلاثة ملايين ريال
سعودي تملك « بترومين » ٧١ في المائة من
مجموع أسهمها وتملك شركة « موبيل انفيستمنس »
الأسهم الباقية . وستبدأ الشركة أعمالها بإنشاء
معمل لها في جدة ، تبلغ طاقته البدائية ٧٥ ألف
برميل سنويا . وهي الآن تعد العدة لذلك .

شركة الناقلات العربية السعودية

لما كانت مصفاة « جدة » في حاجة مستمرة
لناقلات تزودها بالزيت الخام ، فقد فكرت
« بترومين » في انشاء شركة ناقلات تابعة لها
تنقل الزيت الخام من فرضة رأس تنورة
في المنطقة الشرقية الى المصفاة ، ونقل المنتجات



برج تقطير الزيت الخام ، حيث يجري تجزئة الزيت الخام الى منتجات أولية .
تصوير : أحمد متناخ وعلي عبد الله خليفة

تقرير بترومين

أصدرت المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) تقريرا عاما
عن سير أعمالها لعام ١٣٨٨ هـ ، تضمن معلومات قيمة عن نشاط هذه
المؤسسة ومشاريعها الحية المتعددة في كل من قطاع الزيت ، وقطاع
البتروكيماويات ، وقطاع المعادن والصناعات المعدنية . وقد قدم لهذا التقرير
معالي الشيخ أحمد زكي يماني ، وزير البترول والثروة المعدنية ورئيس
مجلس ادارة « بترومين » ، وكتب خاتمته سعادة الدكتور عبد الهادي
حسن طاهر ، محافظ المؤسسة .

من مصفاة جدة الى الشاطئ الغربي من المملكة . كما تتولى نقل المعادن والمنتجات المعدنية الى الموانئ المحلية . ومن المخططات الموضوعية لهذه الشركة توسيع عمليات نقل المواد البترولية والمعدنية كي تشمل النطاق العالمي .

وقد تعاقدت « بترومين » مع شركة « يونيتد تانكرز » الأمريكية للإشراف على الادارة الفنية لشركة الناقلات العربية السعودية دون المساهمة في رأس المال بينما سيكون رأس المال بأكمله سعوديا صرفا تشترك « بترومين » والقطاع الخاص في ملكية أسهمه .

شركة الحفر العربية

قامت « بترومين » عام ١٣٨٣هـ بعقد اتفاق بينها وبين شركتي « فوربكس » و « لونجديسان فورنكو » الفرنسيتين على انشاء شركة يبلغ رأسمالها عشرة ملايين ريال سعودي تملك « بترومين » ٥١ في المائة من أسهمها ، وتملك الشركتان الأخريان ٤٩ في المائة . وقد عرفت هذه الشركة باسم « شركة الحفر العربية » وحددت مدتها بـ ٥١ عاما قابلة للتجديد . ومهمة هذه الشركة القيام بأعمال التنقيب عن الزيت والمعادن والمياه الجوفية في المملكة العربية السعودية وفي الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية . الى جانب الأردن والسودان والحشة والصومال .

وقد قامت شركة الحفر منذ تأسيسها حتى الآن بأعمال حفر مختلفة لعدد من شركات الزيت العاملة في المملكة . ففي عام ١٩٦٥ ، عقدت اتفاقية مع شركة الزيت العربية (اليابانية) التي تعمل في المنطقة المحايدة ، مدتها ثلاث سنوات ، قامت بموجبها بأعمال الحفر المطلوبة للتنقيب عن الزيت في المنطقة المغورة بالمياه ، لقاء مبلغ ٣٤ مليون ريال سعودي . وفي عام ١٩٦٦ ، أبرمت اتفاقية أخرى مع الشركة نفسها مدتها ثلاث سنوات للقيام بأعمال حفر أخرى لقاء مبلغ ٤٠ مليون ريال سعودي . وقد قامت شركة الحفر ، بموجب هاتين الاتفاقيتين ، بشراء جهاز حفر عائمين دعمتهما « عرب درل رقم - ١ » و « عرب درل رقم - ٢ » بلغت تكاليفهما ٣٧ مليون ريال سعودي ، كما قامت أيضا بشراء زورق للمون تخبطت تكاليفه مليوني ريال .

وفي عام ١٩٦٦ نفسه عقدت « شركة الحفر العربية » مع « أوكسيرايب » اتفاقية طويلة الأمد

للقيام بأعمال الحفر التنقيبية في منطقة امتيازها على ساحل البحر الأحمر قرب جيزان . وقد اشترت شركة الحفر لهذه الغاية جهاز حفر بلغت تكاليفه أربعة ملايين ريال سعودي استخدم فعلا في حفر أول بئر استكشافية قرب « جيزان » . وفي هذا العام نقل هذا الجهاز لعمل لحساب شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) اثر حصول « شركة الحفر العربية » على عقد مع أرامكو مدته ستان .

هذا وقد كان « لشركة الحفر العربية » نصيب في أعمال التنقيب عن المعادن التي ترعاها مديرية الثروة المعدنية في وزارة البترول والثروة المعدنية ، اذ حظيت من الوزارة بعقد تقوم بموجبه باجراء جميع عمليات الحفر اللازمة للتنقيب عن المعادن في شتى أرجاء المملكة ، ولديها لهذه المهمة ستة أجهزة حفر لجمع العينات الجيولوجية تعمل في مناطق مختلفة . ويعمل في شركة الحفر (٤٥٠) موظفا بين سعودي وفرنسي معظمهم من العرب السعوديين .

المشاريع البتروكيماوية

منذ مدة طويلة ، والمسؤولون في حكومة المملكة العربية السعودية تشغلهم فكرة الاستفادة من الصناعات البتروكيماوية الحديثة . وقد قامت (بترومين) بدراسات عديدة لهذا الموضوع كانت أولاها عام ١٩٤٧ ، ثم تلتها دراسات أخرى عام ١٩٥٨ و ١٩٦١م . أجرتها مجموعة من الشركات الهولندية . ثم قامت إحدى الشركات الاستشارية العالمية باجراء دراسة اقتصادية فنية للموضوع أسفرت عن امكان انتاج سجاد « البوريا » بكميات ضخمة تزيد على حاجة المملكة من السجاد . وفي الوقت نفسه كانت هنالك مجموعة أخرى من الشركات اليابانية تدرس امكان الاستفادة من الغاز الطبيعي بصورة عامة . وقد تبنت « بترومين » هذه الدراسات جميعها ودراسات أخرى غيرها لانتاج عدد من المنتجات المفيدة كالبلستيك الخام والكبريت الخام ، وغيرها ، وكانت المشكلة التي تواجه انشاء مصنع الأسمدة الكيماوية هي تصريف المنتج الفائض ، وقد عالجت « بترومين » هذه المشكلة وتغلبت عليها بأن اتفقت مع شركة « انترناشيونال أور أند فيرتيلايزرز » التابعة لشركة « أوكسيدنتال بتروليوم » الأمريكية ، على بيعها اياها جميع منتج المصنع - عدا ما يستهلك

محليا - لمدة سبعة عشر عاما لتتولى تسويقه عالميا وفقا للأسعار العالمية السائدة . وعلى أثر ذلك قامت « بترومين » بانشاء شركة تحمل اسم شركة الأسمدة العربية السعودية (سافكو) لانتاج ١١٠٠ طن يوميا من سجاد « البوريا » بالإضافة الى ٣٥ طنا يوميا من الكبريت الخام ، ويبلغ رأس مال الشركة المصرح به مائة مليون ريال سعودي تملك بترومين ٥١ في المائة من أسهمها ويملك القطاع العام بقية الأسهم . ومدة امتياز الشركة ثلاثون عاما . وقد تعاقدت « سافكو » مع « شركة كيكال كونستركتشن » (كيكو) لاشادة المصنع متعهدا اتمامه في غضون ثلاث سنوات . ويتوقع أن يبدأ بالانتاج في النصف الأول من عام ١٩٦٩ . وليست مشاريع « بترومين » في حقل الصناعة البتروكيماوية مقصورة على مصنع الأسمدة الكيماوية فحسب ، فقد أبرمت اتفاقية أخرى مع كل من شركة « جيفرسون ليك سلفر » وشركة « انتر أور أوف سعودي أرييا » التابعتين لشركة « أوكسيدنتال بتروليوم » الأمريكية على اقامة مصنع في بقيق لانتاج الكبريت الخام من الغاز الطبيعي بمعدل سيلغ في متوسطه ٥٠٠ طن يوميا ، ويتوقع أن يبدأ المصنع انتاجه في نهاية عام ١٣٩٠هـ . وتجري الاستعدادات حاليا لتأسيس شركة تتولى تنفيذ هذا المشروع تحمل اسم « شركة بترومين للكبريت » . وقد حدد رأس مال هذه الشركة بـ ٤٥ مليون ريال سعودي ، وهو نصف الاستثمارات الاجمالية اللازمة للمشروع ، أما النصف الباقي من الاستثمارات فيسوفر بقروض مؤخرة يجري تسديدها من ايراد المشروع . وستساهم شركة « جيفرسون ليك سلفر » المتفرعة عن شركة « اكسيدنتال » بثلث رأس مال المشروع ، بينما ستساهم « بترومين » والقطاع العام بالثلثين الباقين . وقد تعهدت شركة « انتر أور أوف سعودي أرييا » بتسويق منتج المصنع من الكبريت الخام في الأسواق العالمية وفقا لنصوص معينة .

وتفكر « بترومين » أيضا في اقامة صناعات بتروكيماوية أخرى في المملكة العربية السعودية معتمدة على الغاز الطبيعي كمادة أولية لها . وأقرب هذه المشاريع الى التحقيق ما تم الاتفاق عليه مع شركة « أنيس » الإيطالية ، للقيام بمشروع بتروكيماوي نافع . هذا بالإضافة الى دراسة أخرى قامت « بترومين » باجرائها والتي ترمي الى انشاء صناعة لدائن البلاستيك (بولي فينيل كلورايد) .

بالهجرة النبوية . مرحلة هامة
 في تاريخ الاسلام . فقد اشدت
 فيها عوده ، وترعرع عليها نبتة . واستوى بها
 زرعه على سوقه ، وكانت أرض الهجرة - المدينة -
 خصبة ، والماء الذي سقيت به عذبا زلالا .
 وكان الساقى خبيرا مؤمنا صادقا مخلصا ، لم
 يسق ليجر نفعا لنفسه ، ولم يصدر عن هواه ،
 بل كان رسولا آمينا عبقرى عادلا . وكان حراس
 ذلك الزرع أنصار أتقياء أوفياء ، فعظم شجر
 ذلك الغرس ، وأتى أكله ناضجا وافرأ شهيا ،
 ومنذ السنة الأولى للهجرة والناس ينعمون في ظل
 ذلك الشجر الوارف الظلال .

أجل ، لقد انبثقت مرحلة هامة عن الهجرة
 النبوية في تاريخ الاسلام . بل في تاريخ العالم
 كله .. قلبت أوضاعه رأسا على عقب . وفتح
 العالم أعينه - بعدها - على مبادئ لم يعرفها :
 كسرت الأصنام . ودمرت الطواغيت . ورفعت
 لواء توحيد الله ، وقربت بين الشعوب ، وأرتهم
 العدل نهارا ، والظلم ليلا . والجهل دمارا ،
 وسأوت بين القريب والبعيد . والأبيض والأسود
 والأحمر والأصفر . لا فضل لعربي على عجمي
 ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح .
 والمتأمل في تاريخ الهجرة يجد أن أسماء بنت
 أبي بكر الصديق تتألق في ذلك التاريخ تألق
 الأعمار في كبد السماء . وتلمع بين سطوره
 لمعانا يستوقف النظر .

لقد قامت أسماء بدور هام في تاريخ هجرة
 محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . يصح
 أن يكون ركيزة من الركائز التي قام عليها بنيان
 الهجرة ، وإن يعد من الأعمال الخالدة التي
 قامت بها امرأة في أضخم مشروع لخدمة
 الاسلام والعدل والسلام . ومن الأعمال التي
 تشرف المرأة المسلمة وتعز بها فتياتنا اليوم .
 وما بعد اليوم ، وكل يوم .

لقد وجدت في الفتاة أسماء قوة . وشجاعة ،
 وفصاحة ، وإيمانا قويا بالله ، وحصافة ، ونضوجا ،
 وبعد نظر ونضحية في سبيل الله ، وعملا صالحا
 مشمرا .. ووجدت فيها الزوجة المثالية ، والأم
 الولود المربية ، والسيدة التي لا تلين قناتها الا
 للحق والعدل . فقد بلغت القرن عمرا ، وهي
 كالجيل الأشم لم يوتر على عزة نفسها وشجاعتها
 كر الغداة ومر العشي .. لم تضعف ، ولم تستسلم ،

نبذة / أبي بكر الصديق

بقلم الأستاذ علي حافظ

ولم ترم سلاح الجهاد في سبيل الله من يدها ، وقد حملته منذ أول سنة من سني الهجرة حتى سلمت روحها لبارئها .

دور الزبير في غزوة بدر

وأعتقد أن بيت أبي بكر الصديق كان من البيوت المثالية في بيوت قريش ، التي كانت تنشيء الأبطال والبطلات ، والزاكين والزاكيات ، والمؤمنين الصالحين الصابرين ، والمؤمنات الصالحات الصابرات . فلم تكن وقتئذ مدارس للتربية إلا البيوت .. وتأثير البيت على التربية لا يزال أساسيا الى اليوم ، ويبطل البيت المصنع الناجح للرجال .

وأنجب بيت أبي بكر الصديق ممن أنجب ، أسماء البطلة الواعية . وعندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لدار أبي بكر بمكة للبحث مع صديقه في أمر الهجرة التي أذن الله له بها كانت في المجلس أسماء وعائشة . فقال رسول الله لأبي بكر : « أخرج عني من عندك . » فقال له أبو بكر : « انما هما ابتائى ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟ » إشارة من أبي بكر الى وثوقه من ابتنيه وتربيتهما . فتفاوضا في أمر الهجرة ، وخططا لها ، وقررا الاختفاء من قريش في غار جبل ثور . وكانت قريش تلح في طلب رسول الله لقتله بسيف شبانه وكانت أسماء الرابعة في هذا الاجتماع .

وبعد هذه الخطوة من تاريخ الهجرة تجلت عبقرية أسماء ، وبدا دورها الهام في دعمها ، فكتمت سر الهجرة هي وأختها عائشة — وكان عمر عائشة حوالي الثامنة — وأخوها عبد الله .. كنمو سر الهجرة ، فالروح به له خطره العظيم على رسول الله ، وعلى الاسلام كله . ومع أن زعماء قريش خصصوا مائة بعير لمن يلد لهم على محمد بن عبد الله الا أن أسماء البقطة الواعية كتمت السر أيما كتمان . فقد جاء أبو جهل ، ومعه نفر من قريش ، ودق باب أبي بكر يبحث عنه وعن رسول الله بعد اختفائهما في الغار بجبل ثور ، فخرجت لهم أسماء فقالوا لها : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ فقالت لهم : لا أدري والله أين أبي ؟ ويبدو أن الحماس والعنف كانا ياديين على حديثها ، وكأنما لسان حالها يقول

لهم : لماذا تسألون عن أبي ؟ فرجع أبو جهل يده — وكان فاحشا خبيثا — فلطمها على وجهها لطمه أسقطت قرطها من أذنها . فتحملت أسماء اللطمة والاهانة ، وسكتت ، وصبرت ولم تفكر في اتخاذ أي اجراء ضد عدوان أبي جهل السافر ، وفوضت أمرها لله .

ودق باب أبي بكر — بعد الاختفاء — والده أبو قحافة ، وفتحت له أسماء فدخل ، وانتقد تصرف أبي بكر . ولترك أسماء تتحدث عما جرى بينها وبين جدها أبي قحافة :

قالت : لما خرج رسول الله ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله وكان خمسة آلاف درهم . فدخل علينا جدي أبو قحافة وقال : والله اني لأراه قد فجعكم في ماله وقضه . قالت : قلت : كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا ! قالت وأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت كان أبو بكر يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت يده — وكان ضريرا — وقلت له : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه . فقال لا بأس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . قالت أسماء : ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك . « وقد كان في امكان أسماء أن تقول لجدها غير ما قالت ، ولكن تربية أبي بكر وبيته وذكاء أسماء جعلها تترك — من كلام أبي قحافة وطعته — انه ينتقد تصرف أبيها ، وان هذا النقد قد يؤدي الى البوح بسر الهجرة . فأنقذت الموقف بتصرفها هذا الحكيم السليم .

والأول مرة في تاريخ الفتيات المسلمات تستعمل أسماء ميذا « الحرب خدعة » ، فهي تعرف أي خطر يهدد رسول الله ورسالته لو قدر لسر الهجرة أن يفضى ، فتحملت اللطم والكذب ، في سبيل كتمان سر رسول الله وهجرته الموقفة . وكانت الفتاة أسماء تسئل تحت ستار الظلام كل يوم وتذهب لرسول الله وأبي بكر في الغار بما يصلحهما من طعام .

ذات النطاقين

ولما يشت قريش من العثور على رسول الله وصاحبه أبي بكر ، ومرت ثلاثة أيام على البحث

عنهما ، دون أن يصلوا الى نتيجة هدأت تحرياتهم . وخرج رسول الله وأبو بكر من الغار ، ليمتطيا راحلتيهما ، ويسافرا مهاجرين للمدينة المنورة . وقد أعدت لهما أسماء سفرة وجاءت بها لهما ، فلما أرادت ربط السفرة في الراحلة لم تجد عصاما (١) لربطها . فحلت نطاقها وشقته شقين ، وجعلت أحدهما عصاما شدت به السفرة فسي الراحلة وانتطقت بالشق الثاني . فسمها رسول الله « ذات النطاقين » .

وهكذا دخلت أسماء أبواب التاريخ الاسلامي بذكاؤها وشجاعته . ولا تبلغ العقد الثالث من عمرها بعد .

اسماء الزوجية

لقد تزوجت أسماء من الزبير بن العوام بمكة قبل الهجرة ، ولما هاجر رسول الله وأبو بكر . واستقرا في المدينة هاجرت أسماء مع زوجها الزبير وكانت حاملا ، ونزلت بقاء فولدت عبد الله ابن الزبير وكان أول مولود ولد في الاسلام بالمدينة ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه . ثم ولدت للزبير عروة ، والمنذر ، وعاصم ، والمهاجر ، وخديجة الكبرى ، وأم الحسن ، وعائشة وقالت أسماء : « تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه ، وكنت أعلف فرسه وأسقيه وأسوسه ، وأكفيه مؤنته ، وأدق النوى الناضجة ، وأعجن العجين . ولم أكن أحسن أن أخبز . » فكانت تخبز عند جارات لها من الانصار ، وكن نسوة صدق .

قالت : « وكنت أنقل النوى من أرض الزبير ، التي اقطعها له رسول الله على رأسي ، وهي على ثلثي فرسخ . فجئت يوما ، والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ومعه نفر من أصحابه ، فدعاني ثم قال : اخ ، اخ ليحملني خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان غير الناس ، فعرف رسول الله أنني قد استحييت فمضى ، فجئت الزبير ، فقلت لقيني رسول الله ، وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت ، وعرفت غيرتك . فقال : لحملك النوى أشد علي من ركوبك معه ! وبقيت على تلك الحال حتى أرسل لي أبو بكر بخادم فكفتني سياسة الفرس ، فكانما أعطني . »

وكان الزبير مع غيرته شديدا على أسماء ، فأنت أباه فشكلت اليه ذلك ، فقال لها : يا بنية . اصبري ، فان المرأة اذا كان لها زوج صالح ، ومات عنها ، فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة .

سَخَاءُ الْأَسْمَاءِ

وذهبت أسماء لرسول الله فقالت : « يا نبي الله ليس في بيتي شيء غير ما أدخل عليّ الزبير . فهل علي جناح أن أرضع (٢) » فقال : « ارضحي ما استطعت . ولا توكي فيوكي الله عليك . » وكانت أسماء تقول لبناتها وأهلها : « انفقوا . وأنفقن وتصدقن . ولا تنتظرن الفضل فانكن ان انتظرن الفضل لم تفضلن شيئا ، وان تصدقن فلن تجدن فقده . » وكانت أسماء اذا مرضت تعتق كل ما هو مملوك لها . ولما فرض عمر ابن الخطاب الاعطيات فرض لها ألف درهم .

أَسْمَاءُ مَعَ الْأَمْرِ

وقدّمت الى المدينة قتيلة بنت عبد العزي . أحد بني مالك بن حسل ، على بنتها أسماء بنت أبي بكر — وكان أبو بكر قد طلقها في الجاهلية — بهدايا زيب وسمن وقرظ (٣) ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها ، وتدّخلها بيتها خشية أن يكون في أخذها هدية أمها — وهي لم تسلم بعد — ما يمس دينها وما لا يرضي رسول الله . وأرسلت لعائشة تقول : سبي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : لتدّخلها ولتقبل هديتها . وأنزل الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لا يقاتلونكم في الدين . » الى قوله : « أولئك هم الظالمون . »

أَسْمَاءُ الْمُحَدِّثَةِ

وروت أسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث عديدة هي في الصحيحين والسّن . وروى عنها ابنها عبد الله وعروة ، وأحفادها عباد بن عبد الله ، وعبد الله بن عروة ، وفاطمة بنت المنذر ابن الزبير ، وعباد بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير ، ومولاه عبد الله بن كيسان وعبد الله بن عباس ، وصفية بنت شيبة ، وابن أبي فليكة .

سَجَعَةُ الْأَسْمَاءِ

كانت أسماء مع الزبير في معركة اليرموك . شهد الليثي أبو واقد اليرموك ، وكانت أسماء بنت أبي بكر مع الزبير . قال : وسمعتها تقول للزبير : « يا أبا عبد الله . والله ان الرجل من العدو . ليمر يسعى ، فيصيب قدمه عروة أطنا بخبائي ، فيسقط على وجهه ميتا مما أصابه السلاح » .

تصف أسماء للزبير زوجها ما وصل اليه الأعداء في المعركة من الخوف . والرعب . والخور . ومن شخصها مع الزبير مع الجيش الاسلامي نستطيع أن نعرف مدى شجاعتهما ورباطة جأشها .

واستعر مرة اللصوص في المدينة . فاتخذت أسماء خنجرا تضعه تحت رأسها للفتك بمن تسول له نفسه التعرض لحماها .

عَلَبُ الْأَسْمَاءِ

وقدم المنذر ابنها من العراق ، وأرسل لها هدية كسوة من ثياب مروية وقوية رفاق عتاق ، وكانت في آخر عمرها وقد كف بصرها ، فلمستها بيدها ثم قالت : « ردوا اليه كسوته . » فشق ذلك عليه ، وقال : يا أمه انها لا تشف . قالت : انها ان لم تشف فانها تصف . فاشترى لها ثيابا غير تلك مروية قوية ، فقبلتها وقالت : مثل هذا فاكسني . وقالت فاطمة بنت ابنها المنذر : ان أسماء لبست المعصفرا وهي محرمة ليس فيها زعفران . وقالت فاطمة أيضا انني ما رأيت أسماء لبست الا معصفرا (٤) حتى لقيت الله ، وانها كانت تلبس الدرع (٥) يقوم قياما من المعصر . وقالت أيضا : انها كانت تحرم في الدرع المعصر المشيع يقوم قياما .

وروي أن الزبير طلق أسماء ، وذكر أن من أسباب الطلاق انها اختصمت معه ، فجاء عبد الله يصلح بينهما ، فقال الزبير : ان دخلت فمني طالق فدخلت ، فبانت منه . وحدث حماد ابن سلمة عن هشام بن عروة أن الزبير طلق أسماء ، فأخذ منها عروة يومئذ وهو صغير . هكذا كانت حياة أسماء الزوجية صبرا

واحتمالا ، وتربية وتوجيها وشجاعة . كانت حياتها الزوجية مثالية ، ولعل ما وصلنا من أخبارها هو قليل من كثير .

أَسْمَاءُ سَدَّ رَجْمَ الْأَنْزَارِ لِبَنَاتِهَا عِنْدَ اللَّهِ

لما اشتد الحصار على عبد الله بن الزبير في مكة دخل على أمه أسماء ، وشكا لها خذلان الناس له ، وخروجهم الى الحجاج ، حتى أولاده وأهله . وقال لها : « ان القوم يعطوني ما شئت من الدنيا فما رأيك ؟ » قالت له : « يا بني أنت أعلم بنفسك ، ان كنت تعلم انك على حق ، وتدعو الى حق ، فاصبر عيه فقد قتل عليه أصحابك . ولا تمكن من رقبتك من يلعب بها من غلمان بني أمية . وان كنت تعلم أنك انما أردت الدنيا فلبس العبد أنت أهلكت نفسك ، وأهلكك من قتل معك .

وان كنت على حق فما وهن الدين ، والى كم خلوك في الدنيا ؟ القتل أحسن » . فدنا عبد الله من أمه أسماء وقال لها : « هذا والله رأيي » . ثم قال : « والله ما ركنت للدنيا ولا أحببت الحياة فيها . وما دعاني للخروج الا الغضب لله أن تستحل حرماته ، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك ، فزدني بصيرة على بصيرتي ، فانظري يا أماه فاني مقتول في يومي هذا ، فلا يشتد حزرك ، وسلمي لأمر الله ، فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ، ولا عمل بفاحشة قط ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغي ظلم عامل فرضيته ، بل أنكرته ، ولم يكن عندي أثر من رضى ربي عز وجل ، اللهم اني لا أقول ذلك تركية لنفسي . اللهم أنت أعلم بي مني ومن غيري ، ولكنني أقول ذلك ، تعزية لألمي لتسلو عني . » فقالت أمه أسماء : « اني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنا أن تقدمتني ، أو تقدمتك . أخرج يا بني حتى أنظر ما يصير اليه أمرك . » فقال : « جزاك الله يا أمه خيرا ، فلا تدعي الدعاء قبل وبعد . » فقالت : « لا أدعه لمن قتل على باطل ، فلقد قتلت على حق . » ثم قالت : « اللهم ارحم طول ذلك القيام ، وذلك

(٢) الرضح : القليل من العطية . (٣) القرظ : ورق السلم يدبغ به . (٤) عصف الثوب فتصفر : صبغه بالعصفر فانصبغ والعصفر صبغ أصفر اللون . (٥) درع المرأة قميصها ، أو ثوب تلبس في بيته .

النحيب . وذلك الظما في هواجر المدينة ومكة . وبره بأبيه وأمه . اللهم اني قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فقابلي في عبد الله بن الزبير بثواب الصالحين الشاكرين . » ثم أخذته إليها فاحتضته لتودعه ، واعتنقها ليوذعها ، فوجدته لا بسا درعا من حديد فقالت : « يا بني ما هذا ؟ ما هذا لباس من يريد ونريد من الشهادة . » فقال : « يا أمه انما ليست لأطيب خاطرك ، وأسكن قلبك به . » فقالت : « لا يا بني ، ولكن انزع ! » فزعه ، وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد ، وهي تقول له : « شعر ثيابك » ، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته اذا قتل . وجعلت تذكره بأبيه الزبير وجده أبي بكر ، وجدته صفية بنت عبد المطلب ، وخالته عائشة ، زوج رسول الله . ثم خرج من عندها ، فكان ذلك آخر عهده بها وعهدها به .

وروي أن عبد الله بن الزبير لما خيره الحجاج بين أن يذهب في الأرض ، أو يستسلم ويبعث للشام مكبلا ، أو يقاتل حتى يقتل ، شاور أمه أسماء فأشارت عليه بالثالث ، وروي أيضا انها استدعت بكفن ، وبخرته ، وشجعت على القتل ، فخرج بهذه النية ، فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٨٧٣ قتالا شديدا ، فجاءته آجرة ففلقت رأسه ، فسقط على وجهه الأرض ، ثم أراد أن ينهض فلم يقدر ، فأنكفأ على مرفقه الأيسر ، وجعل يحكم بالسيف . فأقبل اليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجله ، ثم تكاثروا عليه فقتلوه واحزروا رأسه ، وكان مقتله قريبا من الحجون .

اسماء والحجاج

وروي أن الحجاج لما صلب ابن الزبير جاءت أسماء أمه ووقفت عليه طويلا ، ولم تقطر من عينها دمة ، وانصرفت . وروي يحيى ابن يعلى التيمي عن أبيه ، قال : دخلت مكة بعد أن قتل ابن الزبير فرأيت مصلوبا ، ورأيت أمه أسماء عجوزا طواله مكفوفة ، فدخلت حتى وقفت على الحجاج فقالت : « أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ » فقال الحجاج : « المنافق ؟ » قالت : « لا والله ما كان منافقا ، وقد كان صواما قواما . »

قال : « اذهبي فانك عجوز قد خرفت . » قالت : « لا والله ما خرفت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت هو . »

وقيل ان الحجاج دخل على أسماء وقال لها : « يا أمه ان أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة ؟ » فقالت : « لست لك بأمر . أنا أم المصلوب على الثنية . ومالي من حاجة ، ولكن أحدثك أن رسول الله يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراك الا اياه . » فقال : « أنا مبير المنافقين . »

وقال الواقدي : لما قتل عبد الله بن الزبير خرجت اليه أمه أسماء ، حتى وقفت عليه ، وهي على دابة ، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها . فأقبل حتى وقف عليها فقال : « كيف رأيت ؟ نصر الله الحق وأظهره . » فقالت : « ربما أديل الباطل على الحق وأهله ، وانك بين قرنها والجنة . » فقال : « ان ابنك ألحد في هذا البيت وقد قال الله تعالى (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نلقه من عذاب الأليم) وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم . » قالت : « كذبت كان أول مولود في الاسلام بالمدينة ، وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده ، وكبر المسلمون يومئذ ، وارتجت المدينة فرحا به ، وقد فرحت أنت بمقتله ، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك ، وكان مع ذلك برا بالوالدين ، صواما قواما بكتاب الله ، معظما لحرم الله ، يبغيض من يعصي الله عز وجل . أشهد على رسول الله سمعته يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » وفي رواية : « سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير . » فانكسر الحجاج وانصرف . فبلغ عبد الملك ما حدث فكذب له يلومه في مخاطبته أسماء . وقال له : « مالك ولابنة الرجل الصالح . » وأرسل الحجاج لأسماء - بعد قتله عبد الله ابنها - فأبى أن تأتية فأعاد عليها الرسول لتأتيني والا بعث اليك من يسحبك من قرونك . فأبى . وقالت : « والله لا أتية حتى يبعث من يسحبني بقروني . » فقال الحجاج : أرؤني سبتيتي .

فأخذ نعليه ثم انطلق يتودق ، حتى دخل عليها فقال : « كيف رأيته صنعت بعد ؟ » قالت : رأيته أفسدت عليه دنياه ، وأفسدت عليك آخرتك . بلغني انك تقول : يا ابن ذات النطاقين . أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله وطعام أبي بكر ، وأما الآخر فنطاق المرأة لا تستغني عنه . أما ان رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا . أما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا أخالك الا اياه . » فقام عنها ولم يرجعها .

سيرة أسماء ووفاتها

عمرت أسماء دهرا صالحا ، وقيل انها كانت صحيحة البصر ، لم يسقط لها سن ، ولم ينكر لها عقل ، وانها عاشت قرابة قرن من الزمن ، وقيل أنها أضرت في آخر عمرها وانها توفيت بعد أن دفنت ابنها عبد الله بـ ١٠ أيام ، وقيل ٢٠ يوما وقيل أكثر من ٢٠ يوما ، وقيل عاشت ١٠٠ يوم بعد ابنها عبد الله ، وهذا القول هو الأشهر .

وتدل رواية القاسم بن محمد الثقفي على أن أسماء أضرت بعد قتل ابنها ، فقد قال : « ان أسماء أتت الحجاج بعد أن ذهب بصرها ومعها جواريتها . » وكذلك فان الكسوة هدية ابنها المنذر لها ، ربما كانت بعد قتل ابنها عبد الله خلال المائة اليوم التي عاشتها بعد عبد الله فقد جاء في الرواية ان الهدية كانت في آخر عمرها بعد ما كف بصرها .

هذا ، وقد قال المؤرخون انها ولدت قبل الهجرة النبوية بـ ٢٧ سنة وأسلمت بعد سبعة عشر انسا في مكة ، وتوفيت في سنة ٧٣ للهجرة . وكانت آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة .

وبعد فهذه دراسة عابرة لفئة من الفتيات المسلمات اللواتي استطعن أن يقدمن أعظم الخدمات للإسلام عند مشرق نوره الأول في الهجرة ، ثم ملأت الحياة الزوجية حيوية ونشاطا وعملا وكفاحا ، ووقفت في آخر عمرها في وجه الطغيان وقفة السמיד العنيد ، وضحت بابنها عبد الله في سبيل الحق والمثل العليا ، وشجعته على الاستشهاد وأن لا يعيش ذليلا . ■



دور الصيانة في

وصناعة الزيت تتطلب استخدام الآلاف من الآلات والمعدات والأجهزة . فوسائل النقل المختلفة من الجرارات الضخمة الى قاهرات الرمال . ومن الطائرات الطوربينية أو النفاثة الى الطائرات العمودية . ومن السيارات الكبيرة ذات الصهاريج الى السيارات الصغيرة . تربط مناطق العمل بعضها ببعض شبكة موصلات عملية ونشطة . وبالمعدات الثقيلة من الجرافات الآلية

وتجنيده في خدمة مخططات الانسان في مجالات التنقيب . والحفر ، والانتاج ، والتصنيع . والتسويق . بل وتسخيره في أداء مختلف الأعمال اللازمة لانجاز تلك المخططات وتحقيق أغراضها . وتلك الآلات والمعدات تحتاج — بلا شك — الى الصيانة لضمان انتاجها ، فكل صناعة تفتقر مرافقها الى الصيانة صائرة — كما هو معلوم — الى الانحلال والتقويض .

والآلة من أهم مقومات الصناعة الحديثة ، وهما عنصران متكاملان لا غنى لأي مؤسسة صناعية عنهما في سبيل تحقيق انتاج متزايد متطور . ولا بد لصناعة الزيت المتنامية أبداً من أن توافق بين هذين العنصرين لضمان اطراد نموها ورفع انتاجها . وذلك بحشد الأيدي العاملة والآلات والمعدات . التقليدي منها والحديث . الخفيف والثقيل . البسيط والمعقد

الإنسان



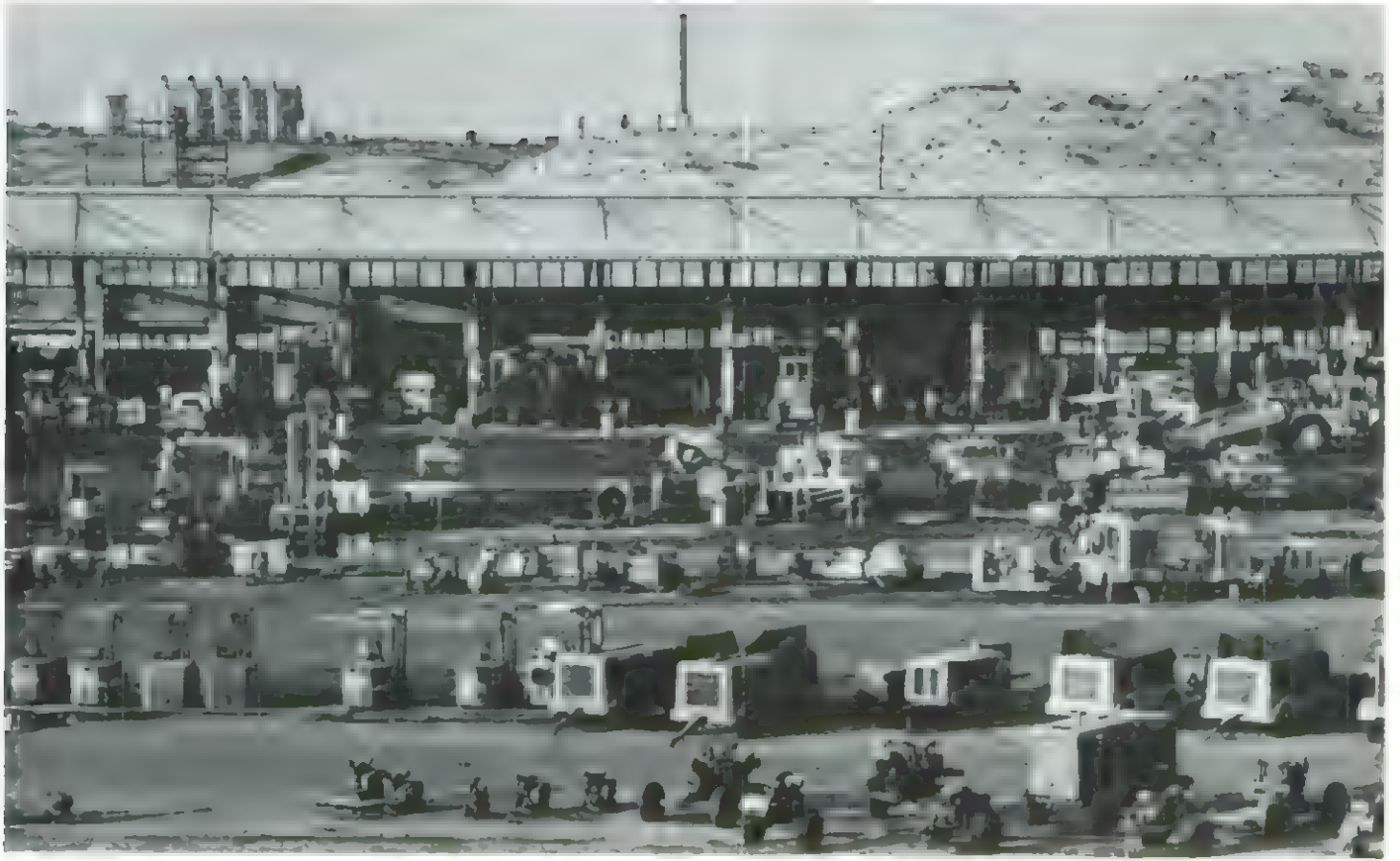
صناعة الزيت

اليدوية الى الآلات الحاسبة الإلكترونية ، يحتفظ القائمون على صناعة الزيت بسجلاتها وفقا لأحدث النظم والأساليب .

وكما يتعرض الانسان لمؤثرات التعب والهرم والمرض والأصابة بالحوادث ، تتعرض الآلة لمؤثرات الحرارة والرمل والاجهاد والبلي ، الأمر الذي يقتضي تجديد عدد من الخبراء والمرافق لصيانتها والحفاظ عليها . من هنا انطلقت شركة

بأصوات آلات معامل الحقن ، والتركيز ، وفرز الغاز من الزيت ، والتكرير ، ومحطات الضخ وغيرها ، فتصنع الزيت الخام أو تنقله الى حيث يصنع ، منتجات جاهزة للاستهلاك غدت تشكل أكبر مصدر للطاقة في عصرنا هذا . وبالأجهزة الدقيقة من المرسلات اللاسلكية الى شتى أجهزة القياس ، ومن آلات عرض الأفلام الى أجهزة المبرقات الطابعة ، ومن الآلات الحاسبة

الى مختلف أنواع الحفارات ، ومن الروافع صغيرها وكبيرها التي تعمل بالزيت أو الهواء ، تشق فرق العمال الطرق وتسهر على صيانتها ، وتمد مئات الكيلومترات من خطوط الأنابيب . والمنشآت الآلية الثابتة ، من معامل توليد الطاقة الكهربائية الى المراحل البخارية ، ومن الطوربينات الغازية الضخمة الى المكائن التي تدار بزيت الوقود أو الكهرباء ، تهدر أصواتها ليل نهار وتختلط



منظر عام لورشة اصلاح المعدات الثقيلة في الظهران حيث يجري استصلاح معدات الانشاء بكافة أنواعها .
ويرى في مقدمة الصورة بعض معدات الانشاء التي جرى استصلاحها تمهيدا لاعادتها الى الأقسام المعنية بالأمر .

السيد جابر عون ، من ورشة الصفائح المعدنية ، يحدث نقوبا ذات حجم معين في صفيحة معدنية بواسطة آلة نقب خاصة .



الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) فأنشأت العديد من مرافق الصيانة الضرورية لأعمالها .
ولكن منطقة الامتياز حين بدء أعمال أرامكو حديثة عهد بالآلة اجمالا ، وبالصناعة الحديثة بشكل خاص ، لذلك كان من اللازم استجلاب المهارات الضرورية لتشغيل هذه المرافق من الخارج ريثما يتم تدريب مهارات محلية تحل محلها تدريجيا . وقد ساعدت ورش التدريب الصناعي الثلاث التي أنشأتها أرامكو في كل من الظهران ورأس تنورة وبيق ، على امداد الشركة بمثل هذه المهارات حتى غدت معظم مرافق الصيانة التابعة لها تعتمد على المهارات المحلية في مختلف أعمالها ، كما ساعد على ذلك ، التدريب على هذه المهارات أثناء العمل .
 وكان للتحسين الذي طرأ على مراحل انتاج الزيت واطراد نمو ذلك الانتاج أثر مباشر على

وبطبيعة تمرکز أعمال أرامكو في ثلاث مناطق رئيسية ، هي الظهران وبيق ورأس تنورة ، أنشئت ثلاث ورش مركزية للصيانة واحدة في كل من هذه المناطق ، وخصصت فرق متحركة لصيانة المنشآت والمعدات الثقيلة في أماكنها في المناطق النائية ، حيث يتعدى نقلها الى مرافق الصيانة المركزية المذكورة بسرعة معقولة ودون تأخير في سير العمل في تلك المناطق . وتتعاون هذه الورش فيما بينها لانجاز اصلاح ما يطلب اليها اصلاحه كل حسب اختصاصها وحسب الامكانيات المتوفرة لديها ، بل هي تكمل بعضها البعض ، فكل واحدة منها تتميز بوجود حرفة أو أكثر فيها غير موجودة في الورشتين الأخريين ، وذلك لاحتياج احدى المناطق الى تلك الحرفة أكثر من غيرها ، كورشة المراحل وورشة تنظيف المعدات بالمواد الكيماوية في رأس تنورة مثلا .

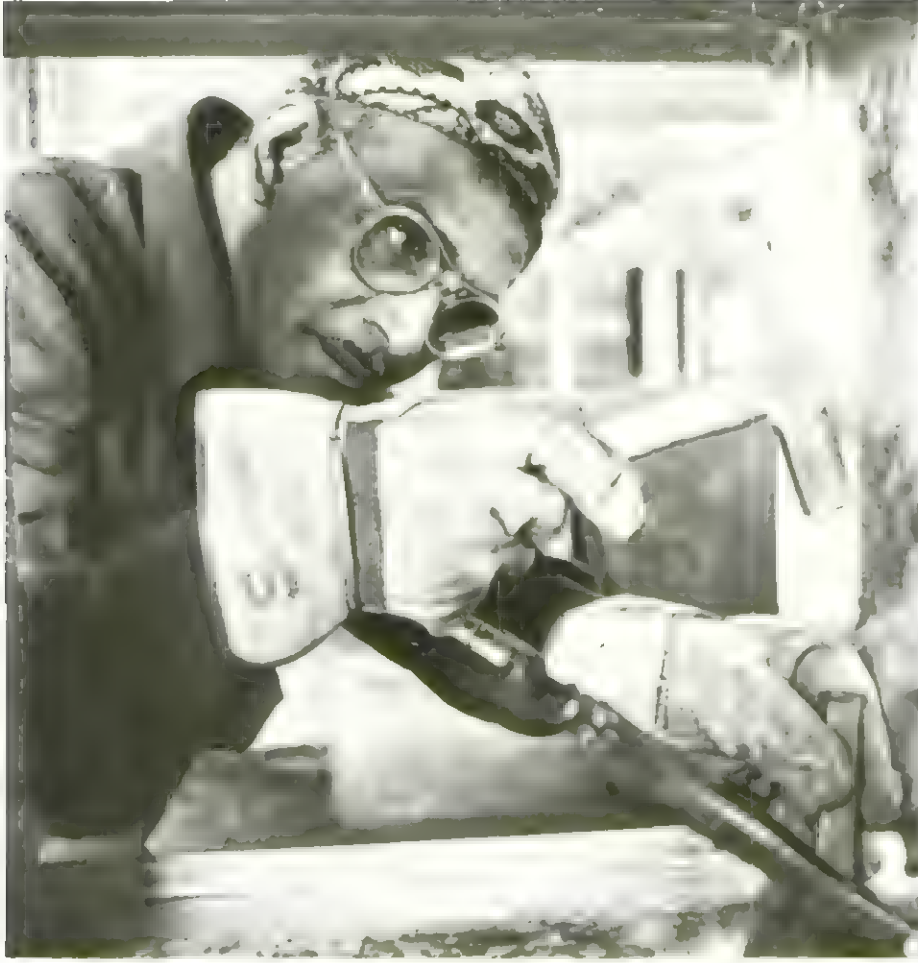
تطوير المهارات المحلية ، فمع كل مرحلة من مراحل الإنتاج ، كانت الضرورة تقتضي استخدام معدات جديدة ، وبالتالي ايجاد مرافق لصيانة هذه المعدات . كما ان تنوع منتجات الزيت وظهور مشتقات جديدة ، كغاز البترول السائل مثلا ، اقتضى انشاء معامل انتاجية جديدة ، تحتاج معدات الى أساليب صيانة جديدة . وبالإضافة الى ذلك يقتضي زيادة الطلب على نوع من منتجات الزيت في الأسواق العالمية تشغيل مزيد من المعدات اللازمة لانتاج ذلك النوع ، وبالتالي توسعة مرافق الصيانة الخاصة بمثل تلك المعدات . وكذلك يستدعي اكتشاف حقول جديدة للزيت اقامة منشآت لإدارة العمل ومرافق سكنية جديدة تستدعي بدورها ايجاد مراكز لصيانة المنشآت المقامة حتى تكون صالحة للاستعمال باستمرار .



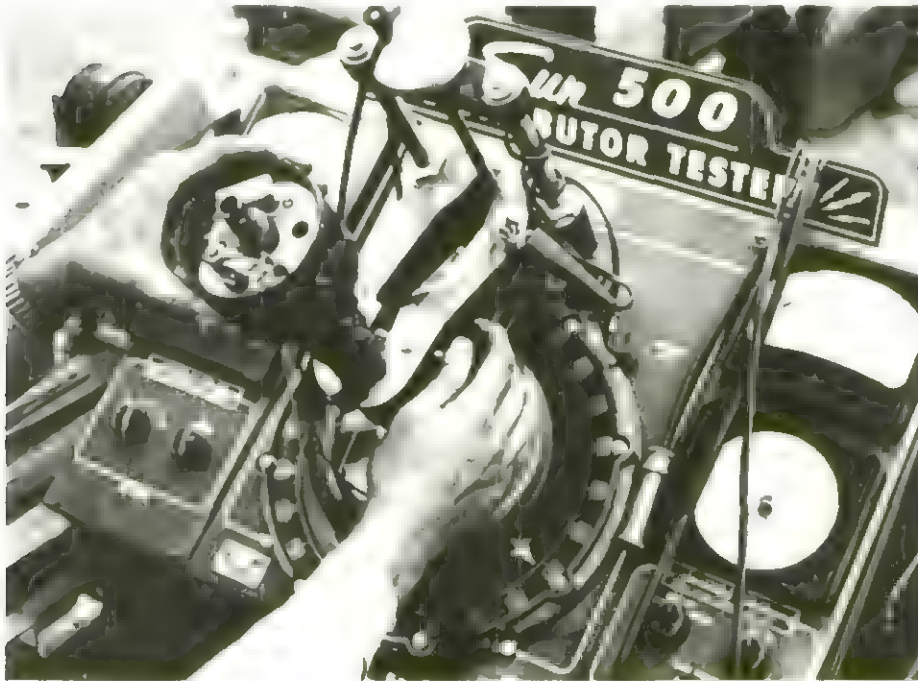
السيد مجدوع سعيد الفاميدي ، فني خراطة ، يقوم بخراطة قطعة من المعدن في دقة متناهية تمهيدا لاصلاحها وفق المواصفات الدقيقة المطلوبة .



السيد مطر بن خليفة المعبود ، من ورشة الأدوات والكهرباء والتبريد ، يبدو منهمكا في اصلاح أحد الأجهزة الخاصة بعرض الصور .



السيد سيد محمد الشاخوري ، فني في وحدة الصفائح المعدنية ، يضع اللصقات الأخيرة على صندوق معدني تم صنعه في الوحدة المذكورة .



الأبدي الماهرة تتفحص الأجزاء المعتلة في شبكة توزيع الكهرباء ، تابعة لاحدى سيارات النقل في الشركة . ويرى هنا السيد عيسى بن حسن ، من ورشة التبريد والكهرباء ، أثناء قيامه بمهمة الاصلاح المطلوبة .

ورشة الظهران بين هذه الورش الثلاث بحجمها وفعاليتها ، فهي عبارة عن عدة ورش مجمعة يحتضنها بناء حديث ضخم جدرانه من «الأنميوم» الفضي اللون ، وتبلغ مساحته نحو ٥٥٠٠ متر مربع . وارتفاعه ١٢ مترا ، أي ما يقارب ارتفاع بناية مؤلفة من ثلاثة طوابق . وتقسم هذا البناء عدة أعمدة وجدران فتتقطع منه جزءا لورش التدريب الصناعي ، وتوزع بقية مساحته ما بين ورش الصيانة المختلفة المنصوبة تحت سقفه . كما تخصص جزءا من تلك المساحة لمكاتب إداريي هذه الورش التي تعتبر العصب الرئيسي لمراقب الصيانة في منطقة الظهران . وفي جولة عابرة بين أجزاء هذه الورش المجمعّة يرى الزائر في أحد الأركان مثلا محرك مولّد كهربائي قوته نصف مليون واط يعكف على فكه أو تركيبه أو اصلاحه مجموعة من الفنيين السعوديين . في حين يبدو له في ركن آخر فني يطبق بمفكه على برغي صغير ليثبت في مكانه من عداد دقيق بالغ الحساسية . أو ان يرى أحد اللحامين يسلط لهبها ساطعا أزرق على شفرة جرافة ضخمة ثلّمها الاستعمال المتواصل . في حين يعكف فني آخر على اصلاح ساعة أو آلة دقيقة بصبر وأناة .

وتضم الورش المجمعّة في الظهران ست ورش هي : ورشة أعمال البناء ، وورشة المعادن ، وورشة التبريد والأجهزة الكهربائية والآلات الدقيقة ، وورشة الميكانيك ، وورشة اصلاح المحركات ، وورشة صيانة المعدات . وتقسم كل ورشة من هذه الورش الى عدة شعب تختص كل منها بصيانة نوع معين من الآلات والمعدات ، أو تراول فيها حرفة معينة .

وتضم أربع شعب يعمل فيها ٣٦ موظفا . وهذه الشعب هي شعبة النجارة ، وشعبة صيغ السيارات واللافتات ، وشعبة نجارة الميدان ، وشعبة أعمال الصيغ العامة .

وتضم خمس شعب يعمل فيها ٦٨ موظفا . وهذه الشعب هي شعبتان للصفائح المعدنية ، وشعبتان للحام ، وشعبة لتمديدات تكييف الهواء . وتتخصص أعمال الورشة في لحم الأنابيب والمعادن

وزنة الميكانيك

ويعمل فيها ٥٣ موظفا ، وهي مؤلفة من خمس شعب ، اثنتان منها للميكانيك وواحدة لإصلاح الصمامات واثنتان للخراطة . وتضطلع هذه الورشة بمهام صيانة قطع محركات السيارات والآليات وإبدالها بقطع جديدة بصنعها فنيو الورشة على آلات الخراطة الحديثة المتوفرة لديهم بأشكال مختلفة . وتقوم شعبة إصلاح الصمامات بصيانة مختلف أنواع صمامات خطوط أنابيب الزيت والماء ، ومحطات ضخ الزيت ، ومضخات الماء وغيرها . كما تقوم الورشة في الوقت نفسه بصنع قطع الغيار المختلفة التي تحتاجها الورش الأخرى .

وزنة إصلاح المحركات

ويعمل فيها ٥٣ موظفا تضمهم ست شعب ، واحدة لاختبار المحركات ، وثلاث لإصلاح المحركات وتوضييبها ، وواحدة لإصلاح أجهزة تعشيق التروس والتبديل ، وواحدة لميكانيكية المحركات . وتعنى هذه الورشة بصيانة جميع أنواع المحركات التي تستخدمها أرامكو في معدات النقل البري والبحري أو في أعمال الحفر والانشاء بأحجامها المختلفة .

الصغيرة ، وشعبة ملحقات المحركات ، وشعبة الموتورات المساعدة (Relay Segment) ، وشعبة الآلات الدقيقة ، وشعبة أجهزة المكاتب ، وشعبة التبريد . ولعل هذه الورشة من أنشط ورش الصيانة في الظهران ، ويعود ذلك الى طبيعة أعمالها المتباينة . ففي شعبة التبريد يعكف الفنيون على تصليح أجهزة التبريد المختلفة ، في حين يعكف فنيو شعبة الآلات الدقيقة على إصلاح مختلف أصناف هذه الأجهزة كالعدادات بأنواعها وأجهزة اللاسلكي والآلات الحاسبة والكاتبة وأجهزة العرض والساعات . أما شعب الموتورات وملحقاتها فانها تعنى بالأمور الميكانيكية والكهربائية لمختلف أنواع الموتورات .

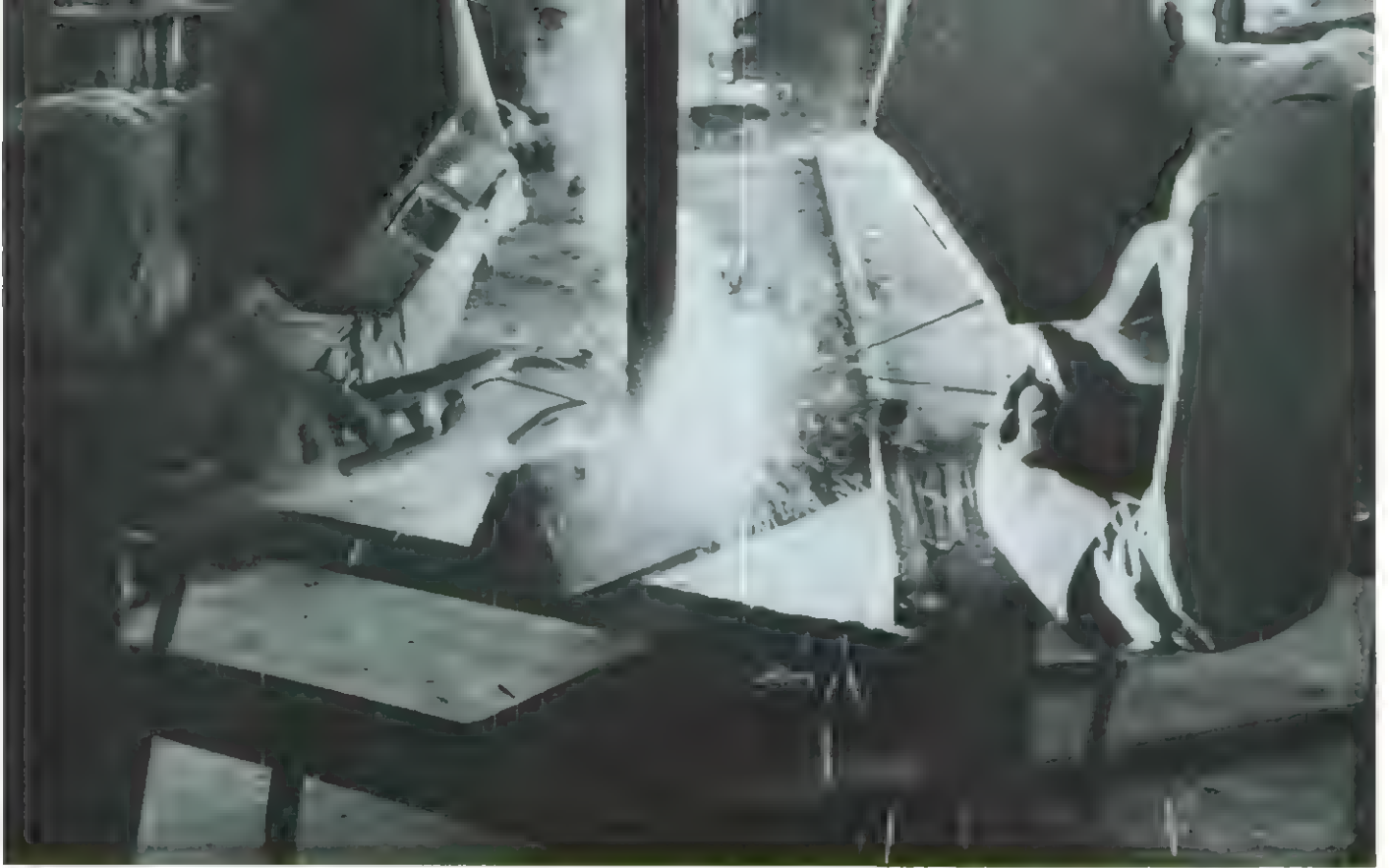
المختلفة وقطعها ، وأعمال تمديدات تكييف الهواء وصناعة جدران الخزانات والأوعية المعدنية على اختلاف أشكالها وحجومها ، وهياكل التلجيات التابعة لسيارات التبريد ، وغير ذلك .

وزنة التبريد والآلات الدقيقة والآلات الكهربائية

ويعمل فيها ٦٦ موظفا تضمهم سبع شعب هي : شعبة الموتورات الضخمة ، وشعبة الموتورات



التي نشأت مزين العتيبي ، من ورشة الآلات بالظهران ، يعكف على شحذ أسنان محور لأحد أعمدة الرافع تابع لمحرك يعمل بالبرزين .



السيدان علي صفر وعبد الله سيف ، من ورشة اللحام أثناء ، قيامهما بلحم ركيزة تابعة لمحرك يعمل بالديزل .



الفني أحمد بن مبارك العماري ، من ورشة التبريد والأدوات الكهربائية ، وقد بدأ منهما في إصلاح إحدى ساعات التوقيت المستخدمة لدى الإدارة الطبية في أرامكو .



السيد عبد العزيز الجريفاني ، من ورشة الآلات يتفحص قطعة آلية بعد إصلاحها بواسطة هذا الجهاز الأسطواني .

ورشة صيانة المعدات

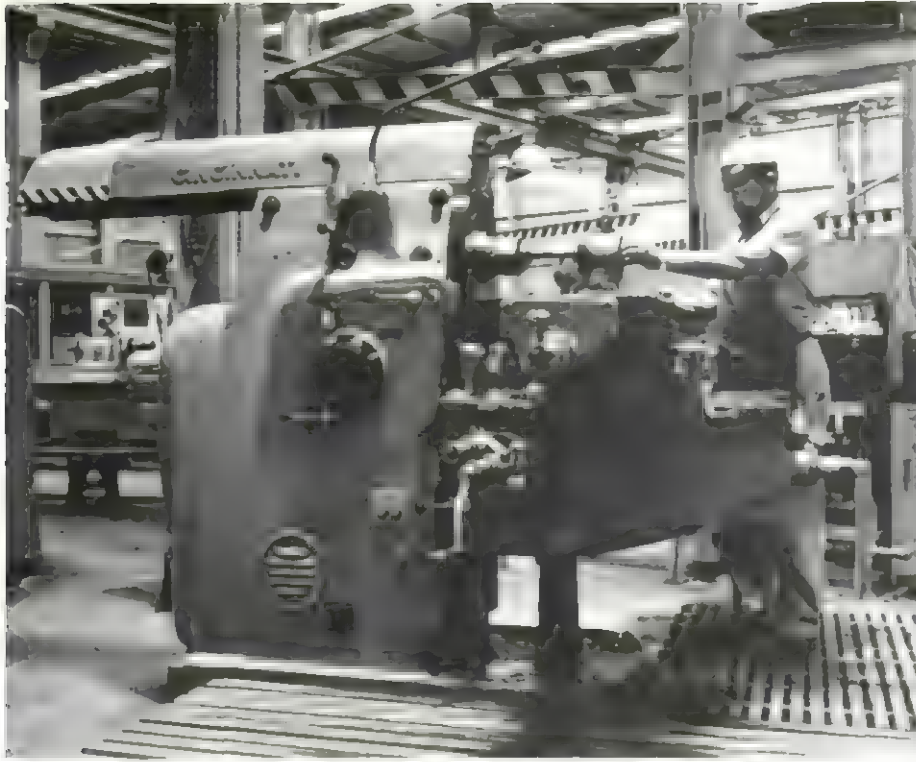
ويعمل فيها ٥٤ موظفا تضمهم ست شعب هي : شعب التفتيش ، وصيانة الجرارات ، وصيانة المحادل ، وصيانة الضاغطات والمولدات ، وصيانة السيارات الرافعة ، وصيانة الرافعات المشعة . ولصخامة المعدات التي تعنى هذه الورشة بصيانتها واصلاحها فان معظم أعمالها تجرى في الساحة المواجهة لبناء الورش المجمع ، غير أنها تعتمد في كثير من الحالات على الورش الأخرى في اصلاح القطع الصغيرة أو خراطتها .

وإذا عاودنا النظر الى بناء الورش المجمع في الظهران ككل . لاحظنا أن الهدف من تصميمه هو انجاز أعمال الصيانة بكفاءة تامة مع الاهتمام الى أقصى حد ممكن بسلامة العاملين فيه وراحتهم . ويتميز هذا المبنى عن غيره من مباني ورش الصيانة التقليدية . بالنظافة والترتيب وحسن الانارة ، وهو مكيف بالهواء بكامله . وتمتزج فيه ألوان كثيرة ذات دلالات معينة . فاللون الأخضر يدل على أن الآلة أو الجهاز المصبوغ به قابل للحركة ، واللون الفضي اللامع يدل على الماثاقب والآلات القاطعة ، واللون الأحمر على معدات مكافحة الحرائق ، والأزرق على صهاريج النيتروجين ، والبرتقالي على مفاتيح الكهرباء.. ولم يكن عبثا تعدد هذه الألوان وتباينها ،

ففي مبنى ضخم كبنى الورش المجمع فسي الظهران حيث يعمل ما يزيد على ٣٠٠ موظف ، يجدر بكل منهم أن يجد بمجرد النظر بغيته ، وأن يحذر مكامن الخطر يسر ووضوح حتى يتسنى له تأدية واجبات عمله بصورة منتظمة دونما تأخير . ولضمان السلامة ميزت المرات بالصين الأصفر ، وأحيطت آلات الخراطة والقطع بحواجز واقية . كما ان كل آلة من آلات الورش محاطة بأرضية خشبية تحول دون انزلاق أقدام العاملين عليها . ولا تقتصر احتياطات السلامة على توفير معدات السلامة ووسائلها لكل فرد ، بل تشمل اجتماعات أسبوعية ونشرات دورية تبحث أصول السلامة وأنظمتها بغيه تكريسها في أذهان جميع العاملين في الورش كشعار نظري ومنهج عملي في آن واحد ، وحثهم على تطبيقها ومراعاتها أثناء العمل وخارجة .

والبناء بالإضافة الى ذلك تغطي جدرانه مواد عازلة للصوت ، تدفع عن آذان العاملين فسي الورش ضجيج الآلات وضوضائها كي ينصرفوا الى الانتاج بأقصى اهتمام ممكن ■

محمد حسن



معظم عمليات القطع والتجويف ، والتثليم ، والتفريز ، التي تتطلبها محاور الأعمدة وتروس التعشيق في كثير من الآلات والمحركات ، يجري انجازها بواسطة هذه الآلة المعقدة التركيب . ويرى هنا السيد صالح محمد العتيبي ، من ورشة الآلات يقوم بثقب محمل محوري (Bearing) خاص بمحور تابع لآحدى الآليات .



آلاف الصمامات على اختلاف أحجامها ترد شهريا الى ورشة الآلات في الظهران ، لتوضيها واصلاح العطب اللاحق بها بغية اعادتها الى حالتها الطبيعية . ويرى في الصورة السيد فهد محمد النسيب من ورشة الآلات في الظهران أثناء قيامه باصلاح أحد الصمامات . تصوير : علي محمد خليفة

مطالعات الصبا بمولفات الشباب

بقلم الاستاذ أحمد أبو الحضر منسي

الصدر . فما أبت مطالعتي على شيء منها ، أما جانب الفكر فيها فضليل ، وجني الحكمة والمعرفة بكيء يسير . وما عثرت على ذلك الا في بعض الروايات لطائفة من مشهوري كتاب فرنسا ممن يضمنون رواياتهم جملة طيبة من الحقائق والمقررات العلمية . أما الجانب النفسي والخلقي فقد خرجت منه بالمضرة البالغة . فان في طبعتي ميلا الى التطوح في مفازات الخيال ، وأودية الأحلام ، وفرط الحساسة وغلبة العواطف . فلقد قلبت الرواية والقصة في عيني الحياة - وحسب الشباب جهله بالحياة ! - وأصارتني الى حال من يريد ارادة المتعنت المشتط تطبيق الذي أقرأه في القصص على ما أنا صانع بالناس وما الناس صانعه بي ، متعاميا عن حقائق الأمور . فأوذيت من بعض الناس بالخديعة ، وسلوكهم معي الطرق الملتوية ، وأنا أريدهم أن يسايروني على الصراط المستقيم ، فما يغونها الا عوجا ، وأوذيت من صروف الزمان بعصبياني لها في مجراها ، ومجالدي لها في ما سن لها وقضى . فلم أفق الا يوم وافيت الأربعين ، وما بيدي شيء من شتى الفرص التي عرضت لي في تلك السنين المدبرة سدى .

أما كتب اللغة والأدب والعلوم والحكمة ، التي خضت فيها خوضا وأنا غلام طرير ، فما أفدته منها على كثرة الغوص والتنقيب ، كانت كالروى . فلما بلغت أشدي بتعالى السن ، عدت الى ما قرأته منها فكأنني كنت أقرأ منها ما لم أقرأه من قبل ، وكان انتفاعي بها جسيما . وأضرب لك مثلا بطائفة من كتب قيمة تلوتها في سن الحداثة ، فلم أفد منها شيئا مذكورا ،

المشكلات ، وبأخذ الأشياء من ظواهرها . ويحل الخيال فيها محل النقد والتنقيب ويعتقد المرء في الأمور بغير قيد . وهي سن لو أنصف أهلها لما كتبوا وألقوا . وكنت أرى أن جمال الدين أصدق شاهد على أنه الدين الحق ، وصرت أكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطه القلم طوع القواد . الى أن يقول :

« ولو أنني أتبع مجرد الظواهر ، وقضيت على الأمور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموما ، وروائي المستشرقون بالخفقة والطيش ، كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الأوروبيين » .

أما حين تنأى شباب « الكونت » وأمسى رجلا مستويا ، موفور التجارب ، مكبث النظر في الأمور ، حصيف الرأي . فقد كتب في الاسلام خير كتاب يرضي المسلمين والمستشرقين والعلاء المنصفين .

هذه السطور التي خطها الكاتب الكبير « دو كاستري » في كتابه عن الاسلام ، في ما يؤلفه المؤلفون ، وهم في غلواء الشباب ، ما زالوا في بواكير التجارب ، وعصف الخيالات ، فطاب عندي مذاقها ، وطربت لهذا التوارد في الخطوط بين كاتب وكاتب فقلت لأكتب في هذا ، وأعرض صفوة اختياري ، فاني أحسب أن فيه لفتياننا خاصة ، عظة ودرسا نافعة .

نشأت مولدا بأصناف من الكتب ترد الى ثلاث شعب : كتب اللغة والأدب ، وكتب الفلسفة والعلوم ، وكتب الأفاصيص والروايات . وكان للقصة والرواية عندي في سن المراهقة منزلة

وقد علت بي السن ، وزحفت الى الخمسين ، وقد نجذتني أسام وأدبني دهر ، أكذت الى نفسي فيما طالعت أزمان الصبا ، والعود لدن والشباب غض ، من كتب كثيرة ، وتدبرت كيف لم أفد منها شيئا مذكورا حتى عدت بأخرة الى قراءة بعضها مما عرفت قيمته وفائدته ، فكأنما أنا أتلو جديدا طريفا . بل لقد أصابني من بعض ما طالعته من كتب والغصن رطيب ، والعيش غرير ، ضر وأذى كبير ، تخلفت لي منه في رجولتي آثار بالغة استعقت منها الندامة .

كذلك كنت أرجع البصر كرة في بعض ما ألقت أو ترجمت من كتب في ذلك العهد ، فكنت أجدني قبليل الرضى عما أعجلت من عمل كان يتوفر له ما أريده له اليوم من اتفاق ، لو أنني أبقيته الى سن التجارب ووفور التحصيل ، وزيادة العلم والمعرفة .

وكنت من قريب أعود الى قراءة كتاب « الاسلام خواطر وسوانح » للكونت هنري دو كاستري . وكان مؤلف هذا السفر النفيس قد شاهد في ريعان شبابه صلاة المسلمين في صحاري بلاد المغرب ، وقد أذن المؤذن ، قترجل المسلمون من على صهوات خيولهم ، يقيمونها خشعا ساجدين . فأكبر « الكونت » ما رأى ، وراعه جلال هذا القنوت لله ، وأشرب قلبه حب هذا الدين . فهم أن يكتب يومذاك ما جاشت به نفسه ، ولكنه أمسك واستأنى . فلم يكتب ما كتب الا بعد أن فثأت الأيام بكرورها من حميه . وفي ذلك يقول في كتابه :

« كنت في سن يستسهل العقل فيها حل

فلما علت السن ونضج الفكر ، عدنا الى قراءتها ، فأجدت علينا وأخصبت ، وكان فضلها وقيرا . فمنها كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ و « الأمالي » لأبي علي القالي ، و « خزائن الأدب » للبغدادي ، وكتاب « التريية الاستقلالية » لألفونس اسكروس . هن وأشباههن من نفيس التصانيف ، وعيون الأسفار لم يستقم ميزانها الا حين أرجعت وأنا في سن رجاحة العقل وحسن الرأي .

مؤلفاتي التي أخرجت للناس بكونتها في ميعة الشباب ، فما أنا عنها اليوم براص كل الرضى وأجدني بحاجة الى أن أكتبها من جديد بقلم السن التي هذبها صقال الدهر ، واتساع المعرفة . وما أحسن ما كتب الجاحظ في ذلك اذ يقول :

« وينبغي لمن كتب كتابا ألا يكتبه الا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالم بالأمور وكلهم متفرغ له . ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه يغيب ويختبر . ولا يثق بالرأي العظيم فان لا ابتداء الكتاب فتنة وعجبا . فاذا سكنت الطبيعة ، وهذأت الحركة ، وتراجعت الاخلاط ، وعادت النفس وافرة ، اعاد النظر فيه ، وتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة ، أنقص من وزن خوفه من العيب » .

ثم هل تراك وجدت كتابا مجدا على الدهر الا وقد أحدثه صاحبه ، وهو في اعتدال العمر ، ونضوج الرجولة ؟ كل عمل جليل وصنع بدیع ان هو على الأرجح ، الا نتاج سن الأربعين أو حوالها . ولك في سيرة الأولين والآخرين من الجلة الأعلام مصداق ما نقول :

فهذا فيلسوف المعرفة ، رهين المحبين أبو العلاء المعري ، كان أشهر مصنفاته ديوان أشعاره الفلسفية « لزوم ما لا يلزم » ، فقد كان من أشعار المدة الثانية من حياته ، حين كبرت سنه ، وبلغ الغاية من الحكمة والتجارب . وهذا ابن رشد فيلسوف الأندلس كان عميد كتبه ، وأشهر مصنفاته شرحه الكبير لمصنفات أرسطو ، فقد أخرجه للناس وهو في الخامسة والأربعين .

واذكر من شئت من أعلام الشعر واللغة والفلسفة والعلوم في تاريخ الأدب العربي « كالمثنبي » و « أبي الفرج الأصبهاني » صاحب كتاب الأغاني ، و « ابن جني » صاحب الخصائص ، و « المبرد » صاحب الكامل و « الفارابي » ، و « ابن سينا » ، فانما وضعوا جليل مصنفاتهم وآيات نبوغهم وهم في سن

الأربعين أو ما حوطا . ونذكر من كتاب الغرب « ولتر سكوت » الروائي الانجليزي الذي وضع أشهر مؤلفاته وهو في سن الأربعين ، و « دريدن » الشاعر الانجليزي المعروف نضج شعره وهو في سن الثانية والأربعين .

هذا وما وزنت كتب الفلسفة والعلوم والأدب حق وزنها ، الا حين شارفت الكهولة ، فكنت أعيد تلاوتها فاذا هي كنوز وذخائر غنمت منها غنما كبيرا .

ما ألفت في أزمان الشباب ، فمع حرصنا منذ نبت العذار على الاجادة ، فأنني اليوم ، حين أعيد النظر ، أجدها لا تبلغ من نفسي الرضى الذي تلقاه مني ، لو كانت مكان ما أخرجته منها في سن النضج والاستواء . ولدي من ذلك أمثلة كثيرة على أن الصبا قلما يجيد أو يبدع وانما سن الاعداد وتهية الموجودات ، التي هي مواليد الرجولة المحنكة . ولا أريد بهذا أن يجعل الشباب يده مغلوله الى عنقه ، يمضي في سربه ، ويعيش سهيلا ، ويمرح في لهو وبطالة ولكن ليقروا كثيرا مما يكون أليق بهم ، وأدنى الى الحقائق ، وأجدى عليهم من صنوف المعارف . ومن كان منهم موهلا للتأليف فليؤلف . ولكن فليعلموا أنه ليس التأليف الذي يقع بقر ، ويصيب الهدف ، ولكنه جسرهم لا بد عابروه ليصلوا الى ما سوف يجدون به برد السرور ويصيبون ثناء الناس واستجادتهم .

ومن العيب والجنف أن نطمع من أهل طراءة السن من الشباب أن يتعلموا ما يطالعونه من كتب تعقل ذي السن الناضجة والعقل الوافر . أما علمت أن علوم البشر وآدابهم قد تداولتها عصور ، وتعاقبت في تكوينها وتعظيمها حقب وأجيال ؟ فالعقل البشري خاضع لهذه السنة التي خلت من قبل ، وهو لا يجد مصرفا عن سلوك هذه الجادة ، فيما يكتسب ويحرز من معارف . فالعقل في الناشئ اذ يترعرع ويلج أول ما يلج ميدان الرجال ، له حدود معينة يبلغ فيها قوته واستواءه ، ويمسي أهلا للكسب وحسن الاستفادة . ولا بد له من توفية مدة صقاله ، وغاية مسراه وعمود تغلغله وتمخضه حتى يصير الى الاتزان والاستقرار . لهذا كانت استفادة الشباب بمطالعة سقيمة غير مرضية . والذي أراه للشباب أن يكون هدفهم الأول أن يقرأوا ما له بعلومهم الدراسية ، صلة متينة ، وليتجنب الأحداث والمراهقون مطالعة الروايات والقصص . ذلك ان هذه الروايات انما لها مواد

وغذاء من الخيال ، وفي كل واد فيه تهيم ، وتعرض عليك صورا من الحياة هي في الغالب غير ما أنت راه ، ويلقاك في الحياة كل يوم . اذ الذي يعيش مع الناس ويبغي في الحياة نجاحا ، وفي أموره يسرا وتوفيقا . يجب عليه أن يستبضع الحقائق ، وان لا يجمع على نفسه من هذه الخيالات الا على قدرة .

وأكثر عناية الشاب في ما يقرأ مبذولة في الاطلاع على كتب العلوم وما تضمن منها صنوف الحقائق وماديات الحياة التي يقوى بها عقله ويستحكم بها فكره ، ولا سيما الكتب التي تدكي عزمته ، وتشجذ همته ، وتفتنه بالكدح والجهاد وتغريه بحب المعالي ، أمثال كتب السير والتراجم ، والكتب التي وضعها مؤلفوها لهداية الشباب الى سبيل النجاح التي تبسط له حياة عظماء الرجال من المصلحين والمخترعين والمكتشفين . وأنا موقن اذا فتينانا طالعوا هذه الكتب مطالعة الامعان والروية ، بأنهم سيشقون طريقهم في الحياة بعزم كصلاب الصخور ، ويكون سهمهم في الحياة فالحا وظفرهم محققا مضمونا

واني أنصح شبابنا اذا ما توخوا الجيد المفيد من الكتب أن يعيدوا قراءتها في مراحل حياتهم من ثلث وارباع . فان الافادة في الاعادة ، وفي ذلك يقول اللورد « دولي » في كتاب « سر النجاح » الذي ترجمه الدكتور صروف : « اني مغرم بالاقتصار على الكتب المقيمة التي طالعتها وعرفت فائدها . وأشهد أن قراءة كتاب عتيق مرة ثانية أفضل من قراءة كتاب جديد لم يقرأ قبلا ، ان لم يكن ألد منه » .

ولعمري ما وجدت شيئا هو أمتع من المطالعة ، فهي صاحب المواثي ، والرفيق الموافق والخل الوفي ، والمعلم الناصح الذي يرد عنك أذى الناس وشروهم . وفي ذلك يقول شوقي :

أنا من بدل بالكتب الصحابا
لم أجد لي وافيها الا الكتاببا
وقد قيل للخليفة المأمون : « ما ألد الأشياء ؟ »
قال : « الزهرة في عقول الناس » .

واسمع بلاغة الجاحظ وروعة بيانه في الكتاب حيث قال : « هو المعلم الذي اذا افتقرت لم يحقر ، وان قطعت عنه المادة لم يقطع تلك الفائدة ، وان عزلته لم يدع طاعتك ، وان هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك . ومتى كنت منه متعلقا بسبب أو معتصما بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس سوء » .

قطار نصف الليل

فيلم البرة جازين صديقي



العجوز . قطار الصعيد هذا ! يقول لي أشياء وأشياء وأنا قابع في ركني العنيد من إحدى عرباته . كل خميس تجدني هناك . أصغي اليه بلا ملل وهو يحملني الى صغاري في العاصمة من القرية النائية الناعسة في أعماق ربوعه ، حيث أعمل موظفا بسيطا في ضيعة تابعة لوزارة الأوقاف . ربما تسألني لم لا أصطحب صغاري هؤلاء وأهمهم معي ، فأجيب أن صغاري هؤلاء أصبحوا كبارا يطلبون العلم في الجامعة - الفتيان منهم والفتيات . ومع ذلك أسميهم « صغاري » - هل يلومني أحد ؟ ثم أنهم عندما كبروا وشبوا عن الطوق ، كبرت أنا أيضا . فالنسبة محفوظة .

عجيب والله أمر هؤلاء « الصغار » وما يفعلونه بنفوسنا ! فأنا مثلا لم أضق يوما بنفقاتهم وطلباتهم ومشاجراتهم ومصالحاتهم ومتناقضاتهم .. حتى آراؤهم التي يفرضونها علي لم أضق بها . ولا أضيق بها اليوم ، مع أن ظهري قد انحنى وكساني المشيب .. لكنه قط لم يمس روحي .. شابة تتقافز ، وتراقب الكرة « الشراب » في الحارة ، وتهوى حلوى « المضاعة » وأراجيح المولد .. عندما أرى « صغاري » يتقافزون ويفعلون هذه الأشياء كلها . ثم استوت روحي شابة متفتحة متطلعة ، تندفق بأمال وحبوية .. مثل أبنائي . والآن روحي في الجامعة ، معهم أيضا . وكل خطوة من حياتهم أحيائها معهم ، وتنعكس علي انفعالاتهم وانطباعاتهم واتجاهاتهم . أعيش شعورا كابدهو ، وأتذوق ابتسامة انفرجت

بها وجوههم ، وأستمع بكل احساس نعموا به ، وأضحك مع كل ضحكة تفجرت عنها قلوبهم الفتية . خير أكسير في الدنيا هذا ، صدقوني ! حياتي حلوة متدفقة متجددة أبدا ، كأنما في أعماقها عين خفية عذبة فؤارة .

فكان ان تركتهم في العاصمة . وكنت استشعر بفرحة كبرى تتجدد كل خميس وأنا أصعد الى القطار ليحملني اليهم ، وأقع في مقعد واحد لم أغیره طوال السنوات العشر التي عشتها وحدي . ثم أغمص عيني ، أو لا أغمصها وأنا ألملم فرحتي حولي ، كأنها رداء سابغ واسع فاخر وثمين يلفني من قمة رأسي الى أخمص قدمي . وأصغي الى الصجيج الذي يصنعه صديقي القطار العجوز .. من فرط امتناني وفرحتي . أصغي اليه . لعبة هذه ابتكرتها بيني وبين نفسي لتذوب الساعات الطويلة .. حقا ثرثار هو ، صديقي القطار ، لكنني لا أضيق بثرثرته تلك التي ترن في أذن غيري صلصلة سلاسل ودمدمة عجلات وصفير وشهيق وزفير ، وهو يلهث مزمجرا يحملنا في قلبه . ويجر وراءه عرباته المتهالكة مثله ، والتي تتعلق متشبثة بعنقه .. عربات تكاد تحجل ، لا تجري من فرط عجز ، ثم أن من شبائيكها ما لا مصراع له ، فتبدو كأفواه هتاء فائرة عن كبر أو عن ارهاق ، وهي تلهث وتبتلع الهواء ابتلاعا .

وابتسم في ركني ، وتوسع ابتسامتي وأنا أتخيلها مشاجرة .. تلك الصلصلة وتلك الجلبة والضوضاء بين القطار وبين نسائه

الكثيرات اللاتي ربطت نفسه بهن أيام الشباب وعنقوانه ، فجثمان الآن على أنفاسه في كبره يمسكن بتلاييه لا يفلتنه . وكثيرا ما تهاوى هذا القطار المسكين ، يمضي الليل بنا الى جوار قناة ، كسير البدن والنفس كأنما غشى عليه ، فيلتف حوله مستولون بقناديل كاشفة بتحسونه ، ويصفون لنبضاته ، ويسقونه ماء ويريحونه حتى يبرد ويسترد قوته .

واليس

كاد يفوتني ، لكنني ركضت خلفه حتى لحقت به ، فقفزت أنشبت بآخر عربة ، وسرت عبر ممراتها الى عربة أخرى ، ثم أخرى ، ثم أخرى ، أتعثري سلاسل وغرارات وقذور تملأ خياشيمي منها رائحة الجبن المعتقة بـ « المش » ، وأرغفة « البتاو » بالحلبة ، وفحول البصل الصعيدي . رائحة نفذت كسحب دخان قوية غير مرئية الى خياشيمي ، تتعلق بشبابي وتبصمني ، لتفوح مني بدوري .. ومع ذلك ابتسمت لها . لم أغضب ، وهل يغضب المرء من معارفه عندما يحيونه بطريقتهم الخاصة ؟ وتلك الروائح لي بها معرفة هي تاريخ حياتي لن أتنصل منها . أحبها ، فلي معها ذكريات غالية سعيدة تبعث دفئا في أوصالي .

كانت تلك الأفكار الهائلة تملأني برضا ينفرج له فمي عن ابتسامة لا تغيب ، وأنا أقفز فوق « مشة » ، أو أتفادى الارتطام « بيلاص » حتى وصلت الى ركني المعتاد في حجرة لها باب زجاجي . فما كدت أفتحه حتى لطمتني رائحة أخرى حادة وغريبة عني !

يا الهي ، ماذا دهي يومي ؟.. اللهم اجعله خيرا .
ترنحت . وكأننا تربصت بي قبضة غادرة
في الغبشة السادلة . غبشة لا يخفف منها سوى
كوب نور يعلوه تراب سيزن معلق في السقف
المقوس ، نور أصفر سقيم هزيل يخبو حتى
يكاد يخدم ، ثم يضيء . ثم يخبو ويضيء
ثانية .. وكأنه عين تقاوم النوم .

نمت سلة البيض الصغيرة التي أحملها
هدية لأولادي . عند قدمي .
وارتميت أنا في ركن من المقعد ، وأخذت أدور
بعيني في الحجرة الضيقة المألوفة . ولكن ما لبثت
عيناى أن تسمرت على الرف المعلق فوق المقعد
المقابل .. فقد كان يطل عليّ منه رأس ضخمة
لغزال عولج بأحماض أغلب الظن أنها هي التي
كانت تنفث تلك الرائحة الغريبة النفاذة . وبرزت
منه قرون طويلة ملتوية نافرة كأنها الثعابين .
أو كأنها غصون متفرعة لشجرة غريبة نادرة .

وكان تحت الرف على المقعد صرة ثياب
حجز بها صاحبها لنفسه مكانا . لا بد أنه مكافح
مثلي . امتصت شبابه المسئوليات ولعلقت صحته
الهموم ، وبطالته أولاده بأشياء عجيبة .. أنا
نفسي طالبي أولادي ذات مرة بثعلب حي .
ومرة أخرى مجموعة عقارب لابني طالب
الصيدلة .

هكذا الأبناء ، كان الله في عون هذا الأب
الذي حجز مكانه أمامي ! لقد أخذ قلبي يرف
حوله قبل أن أراه . لا بد أنه الآن وسط الزحام
في الخارج يودع أهلا . أو يشتري لنفسه سميدة
وبيضتين . أو لعله عود قصب . ذلك الذي
ذهب يشتريه ، فيكسره على ركبته الى نصفين .
ويعد يده اليّ — زميله في السفر — بالنصف الحلو
الذي تنفرع منه الجنود . فأهل الصعيد يؤثرون
الضيف أو عابر السبيل على أنفسهم . لكنني
بالطبع سأرفض تأديبا ، وأكفي بعقلتين من نصف
العود العلوي حيث تقل الحلاوة . لكننا سنهنا
بصحبة بعضنا البعض ونحن نمتص عصير القصب
بقدر ما تسمح أسناننا . وسوف أعطيه أنا نصف

الدجاجة التي حمرتها لعشائي « أم اسماعيل » .
وسوف يرفض بدوره . لكنني سوف ألح عليه
الحاحا شديدا حتى يقبل . فأناوله معها رغيف
« بتاو » ونصف الدجاجة فوقه . ونأكل ونسعد
ويمر الوقت ونحن نتضحك ونحكي نوادر عن
أطفالنا — خاصة عن « عادل » أصغر أبنائي .
والله لو أنني اشتريت مثل رأس الغزال الذي
يطل عليّ من فوق الرف المقابل ، لجاء عادل
وعلق في القرنين الكبيرين جبلا وتأرجح عليه .
وضحكت .. ضحكت وحدي من الصورة
التي رسمها خيالي ، وقطار الصعيد يزمرج ويشق
الليل والمزارع والسكون .

نمت ذاب ضحكي . لعفته عن
وجهي حقيقة قائمة — كيف
يشترى الرجل عود قصب أو بيضتين وسميدة .
والقطار منطلق هكذا منذ ساعة ؟ أي والله .
صحيح ! كيف ؟ ومن ؟ وقد خلفنا المحطة
وراءنا بأميال . ثم خطر بيالي خاطر . عادت
معه ابتسامتي : لعله في دورة المياه أو ذهب
ليتمشى بين عربات القطار .

وعلى كل فمالي أنا وما للناس ؟ وأخرجت
دجاجة « أم اسماعيل » ونزعت عنها الورقة التي
لفتها بها مع رغيفين . ورحت آكل هانئا
متلذذا . أسلي نفسي بنفسي وأحكي لها الحكايات
حتى شبت وحمدت ربي . لكنني لم أنسه ..
زميلي المجهول في السفر . فقد تركت له نصف
الدجاجة مع رغيف .. لعشائه عندما يجيء .
ثم ملمت العظام التي تخلفت من نصيبي في
الدجاجة . ووضعتها بعناية داخل الورقة وكورتها
لألقها من النافذة . ولكن تلك النافذة لم تحترم
كهولتي وضعف ذراعي .. قاومتني بعناد حتى
ضقت بها . فوقفت وسط الحجرة حائرا أمسك
بكرة الورق بين كلتا يدي كأنني طفل كبير
ساذج .. وأطعت أول دافع راودني للتخلص
من تلك اللقافة .

انحنيت انحناء خفيفة وألقيت بها تحت
المقعد المقابل ومن فوري ، ندمت . غشيتي شعور

قوي بالذنب ألقني . فانحنيت أكثر . أتحمس
كرة الورق تحت المقعد لأستردها . وألقها
بمعاونة خادم القطار من النافذة أو في سلة
مهملات . لكن الظاهر أن اللقافة كانت قد
تدحرجت تحت المقعد بعيدا عن متناول يدي .
فارتيمت على ركبتي ورحت أحرق في الظلمة
تحت المقعد . فلما اعتادت عيناى الظلمة واستطعت
أن أميز المراثيات . دارت بي الدنيا دورانا عنيفا .
ومادت الأرض تحت ركبتي . فقد تسمرت عيناى
في عيين مذعورتين هناك تحت المقعد حيث
يخفي صاحبهما !

نمت أدري كم ظللنا من وقت هكذا :
وهو منبطح على بطنه كأنما سقط من
عل في حيز ضيق لا يسع أية حقبة مهما صغر
حجمها . وأنا مستلق على ركبتي وخدي على الأرض !
وأخيرا — بعد لأي — عندما جمعت شتات
نفسي المبعثرة من وقع المفاجأة . وهممت أن
أترجع انطلقت يده كالسهم وأطبقت على
ذراعي تشلني مكابي .

فتحت فمي لأصرخ .. لأصيح .. لأنادي
أحدا . فلم يخرج لي صوت ! فأنا رجل على
قدر حالي . ولم ألق من قبل في حياتي موقفا
كهذا ولا أقل بكثير من هذا !.. سنوات عمري
التسع والخمسون كلها . وسنوات عملي وكفاحي
الخمس والثلاثون . وسنوات زواجي التي هي
توأم لسنوات عملي . كلها كانت سنوات هادئة
راتبة كأنها بحيرة في قلب صحراء بعيدة مجهولة
الا من قليلين . يردون على عيناى يشربون ويأكلون
ويستريحون . ثم يشدون الرحال ويضربون في
الأرض .. هؤلاء هم أولادي .

خلال سنوات زواجنا الأول كان يرد
الينا وافد جديد كل عام حتى أصبحوا
دمتة ! فبسطنا أنا وزوجتي أكفنا الى السماء
نحمد الله ونتوسل في دعة أن يفتح أمامنا
باب الرزق وسعة الحال حتى لا تجف
البحيرة ويهلك واردها ! وقد استجاب الباري
عز وجل لابتهالنا وأنعم علينا بالستر والصحة ..

والأبناء الاثني عشر توظف منهم من توظف ، وتزوجت منهم من تزوجت ، والله ألف حمد وشكر .. وتهادت سفيتنا كنسمة رقيقة حاملة .. وهكذا عشت أنا وزوجتي في سلام وأمان .. رجائي الهامس عندها أمر ، وحاجتها التي لا تجاهر بها استحياء بل تفضحها بها عينها ، عندي أنا واجب . اذا اقترحت أنا اقتراحا ، التقطته هي التقاطا ، تصغي اليّ مطرقة كأنها كلمات تأتينا من عل ، وتقول لأبنائنا :

— « أبوكم قال هذا ، لا بد من تنفيذه ! » فيمثل أبنائنا ، ويكبرون وينجحون ويسعدون ، ويسعدوننا معهم .

والآن ماذا سيفعلون بعد موتي — أو بالأصح ، بعد مقتلي ؟ قطبعا سيقتلني هذا الرابض في الظلام تحت المقعد .. في قطار نصف الليل ، والصعيد حولنا رهيب غامض ، والليل كحل ، وضوء العجلات تشد أية استغاثة ، وأهل القطار مجهدون نائمون لاهون عني وعن مأزقي !

فأغمضت عيني — تماما كما يفعل أي طفل ما ليصد عن نفسه خطرا . ربما كان دوارا هذا الذي شعرت به .

ثم . يا للهول .. ما .. ما هذا ؟ انه بدأ يزحف خارجا !

تقهقرت سريعا ، أزحف بركبتي الى الخلف ، وعيني في عينه معلقة ، ويده لم تزل مطبقة على ذراعي !

فلما استوى واقفا على قدميه ، كدت أهوي وتخلخلت ركبتي وكأني مريض منذ سنوات . ووقفت الى جواره مطرقا كتلميذ مذهب .. أكاد لظوله ولقصري لا أصل الى كتفه . لكنني رفعت رأسي بسرعة عندما رأيته يجعش بالبكاء ؟ لساني عقد ، ولكن قلبي رق له . لقد كان قتي يناهز العشرين من عمره .. في مثل عمر « صفوت » ابني . لا بد أنه ركب القطار بلا تذكرة : مسكين .. انها ظروف الدنيا ، فلا ضير عليك . نظر اليّ ، ثم مسح وجهه الغارق في دموعه بكلتا راحتيه المبسوطتين وألقى

بنفسه على المقعد ، وهو يلهث وكأنه قادم من مسيرة بعيدة .. مبهور الأنفاس ، مشعث الشعر ، زافع النظرات ، مشتت الأعصاب .

والزئبب الى الجدار من فرط الدهشة التي عقدت لساني وتفكيرتي . وعقدت ذراعي على صدري ، أرمقه في انبهار . مرة ثانية ، نخاذلت ركبتي ، ثم بدا لي فجأة أن أطمئن على حلقة مفاتيحي — مفاتيح في عهديتي . ربما تكون قد انزلت من جيبي عندما ارتعيت على ركبتي لأبحث تحت المقعد عن الجريدة التي لففت بها عظام الدجاجة .. تلك الحركة الرعناء التي ألفت بي في هذا الموقف الرهيب . واطمأنت عندما ارتطمت يدي داخل جيبي بحلقة المفاتيح ، وانشرح صدري لصلصلاتها .

ولكن ما هذا ؟ ارتدى الشاب على ركبتيه أمامي ، يضم قبضتيه تحت ذقنه في قوة وتوتر حتى برزت عقل أصابعه شاحبة قد نضب منها الدم ، وهو يبتهل ويتوسل ويصرع :

— « حنانك ، سيدي ! رحمتك بي » .

لم أجده صوتي .

حناني أنا ؟ رحمتي به — أنا ؟ من منا المذعور ؟

وهو مسترسل وصوته أبغ من فرط الذعر :

— « سوف أسلمها اليك .. البضاعة .. كلها . خذها . ها هي ذي كاملة غير منقوصة لم تمسها يد ، لم أنتقص منها غراما واحدا . »

— غرام ؟ .. بماذا يهذي هذا الفتى ؟ لم أفهم . ولم أخف عنه جهلي .

فجأ : — « آه .. تماما أنت ، كما قالوا لي عنك تدعي البلادة والغباء وتنكر شخصيتك المهمة دائما ولآخر لحظة ! »

فدفعت طاقتي الى الأمام على جبهتي ، أحلك ظهري في حيرة . نسيت أن أحكي لكم أنني أحفظ دائما بطاقة « كستور » في جيب سترتي لأدفي بها رأسي أثناء السفر . أم الأولاد ،

الله يسترها ، لا تنسى أبدا أن تدبر لي نصف متر من كسوة الشتاء لعمل هذه الطواقي التي لا غنى لي عنها في رحلاتي كل خميس .

دفعت طاقتي على جبهتي ، أحلك ظهري في حيرة وشروء : شخصيتي المهمة ؟ ! قررت التفاهم معه . تنحنت لأستجمع شجاعتي ، وما كدت أبدا :

— « والله يا بني ... »

... حتى قاطعني ، يزحف على ركبتيه عند قدمي ، ويرفع لي وجهه المتقلص من ذعر :

— « أليست تلك صلصلة القيد الحديدي الذي تحتفظ به في جيبك للقبض عليّ ؟ » .

فصرخت بجزع :

— « قيد حديدي ؟ ! » وازدردت ربقي بصعوبة ثم ضمنت أصابعي وهزتها تحت أنفه ، وأنا أقول له : « الله يهديك يا بني ، ويجعل هذه الليلة تمر بخير . كف عن هذا الكلام الرهيب ، لم هذه البشري المخيفة ، أوقعت قلبي ، الله يسأحك ! »

والزئبب لأجلس وقد كاد يغمي عليّ . لكنه انقضّ يحتضن ساقي

حتى كدت أتلحرج فوقه . فلما شعرت بلذاعيه قويتين وقد كبطني بهما تكييلا ، تلوت الشهادة في سري مستسلما وروحي في حلقي تتحشرج تكاد تفر ، وقد شعرت بأن ساعتني دنت ، وأن هذا المعنوه لا محالة سيقتلني ويترى صغاري !

ودفعت الفتى عني في محاولة أخيرة يائسة . فترك ساقي لكنه انقضّ يخطف يدي يلثمهما بجنون وعيناه مغلقتان تسح منهما دموع ساخنة .

ثم سجن يدي المعروقتين الضعيفتين بين قبضتيه القويتين اللتين تشبهان كلايتين من صلب ، وراح يجأر في ضراعة :

— « أستحلفك بكل غالي يا سيدي ألا تتلاعب بأعصابي أكثر مما فعلت . انك تدعي التخاذل والشيخوخة والضعف ، ثم تنقض ! ولا يخيب انقضاضك أبدا ، أبدا ! .. هكذا قالوا لي .

ان أسلوبك القذ الذي لا يطيش أبدا في الايقاع بنا نحن أرباب تلك المهنة .. أسلوب أستاذ

ضليع في حقلة متمكن من فنه بفضل علمه الغزير .

علم غزير ؟ أنا ؟ « أبو صبري » ؟ علم غزير ؟ هزرت كفتي . والله رأس مالي لا يزيد على ايمان وأمانة ، لذا سلموني مفاتيح المخازن في الضيعة التابعة لوزارة الأوقاف .

فحاولت تصحيح معلوماته :

— « يا بني أنا رجل بسيط تجد مثلي آلافا يكدحون ويعملون جاهدين في تربية حفنة أبناء تربية صالحة لننفع بهم الوطن ! »

وهو على حاله ، كأنه أصم لا يسمع ، يهذي ويهذي كأنه في أسر حمى خبيثة حلت عقال لسانه :

— « تماما ، تماما : أنت ، بلحمك وعظمك ! معلوماتنا عنك تفيد بأن هذا طبعك . نكران نفسك لمن يتعرف عليك . أقبض عليّ من فورك وارحمني بالله عليك ، كف عن لعبة القط والفأر هذه التي تلعبها معي منذ وطئت القطار . لقد تفتت أعصابي ، وتناثرت هباء ، وهلكن تماما من فرط التوتر والرعب اللذين تملكانني طوال الرحلة . اندسست بين المسافرين في قطار الليل فأوقعني سوء حظي في حجرة واحدة معك .. أنت من لم يحذرني قومي الا منه ! »

ثم رفع رأسه ليتطلع لحظة خاطفة من خلف زجاج النافذة ، وجبات كبار من عرق تلتمع وينضح بها وجهه مع كل خلجة من خلجاته . ثم صرخ بي :

« ها هي ذي أضواء محطة العاصمة تبدو . بربك ضع حدا لعذابني . أعرف أنني هالك معك ! أعرف ألا فائدة من مقاومتك ! أعرف أن قوتك بقوة عشرين . أين القيد الحديدي ؟ ها هما يداي كبهما .. خذهما .

القطار حينئذ يندفع داخل اطار المحطة وهو يطلق صفيرا طويلا

ظافرا ، كأنما أتى بما لم تأت به الأوائل ! ... والفتي يغرغر بصوت متحشرج ، ويقول : « أقبض عليّ ، وارحمني .. سأسير معك

في هدوء ، فلم تعد بي أعصاب ! هدمتها أنت بهدوءك وبرودك . تأكل وتضطجع لحظات ، ثم تغفو .. ثم تصحو .. وتتحرك ببساطة وحرية وأنا أتلوى تحت مقعدك . ها هما يداي كبهما خذهما . ! »

فتلقفت يديه بين قبضتي كلتيهما . حتى يكف عن الصياح هكذا ! والتفت عنه وعن هذيانه . ألصق أنفي بزجاج النافذة وأحلق بلهفة في الوجوه العديدة المزدحمة على الرصيف لعل أحدا من أبنائي جاء يستقبلني اليوم ، فيخلصني من هذا البلاء .

وما كاد القطار يهدىء من سيره استعدادا للتوقف ، حتى فتح باب حجرتنا وسدت عتبته حفنة من رجال الشرطة ، وعلى رأسهم ضابط . وقد درت على عقبي بسرعة والضابط يقفز ويلقي بنفسه علينا ، ويتلقف يدي الفتى مني ، ثم يطبق على معصميه بقيد حديدي غليظ . في سرعة أسرع من مروق الخاطر ثم هذا كله ! ثم التفت الضابط اليّ مبتسما :

— « أقدم لك بالغ الشكر يا أستاذ .. أستاذ .. » فتحاملت وضربات قلبي تصم أذني . أضيف :

— « محسوبك مدبولي البسطويسي » أمين مخازن التفتيش .

فشد الضابط على يدي بقوة وامتنان : « لقد ساعدت العدالة مساعدة فعالة بك كائنك وفطنتك وشجاعتك ! »

قلت وأنا أربت صدري ، مطرفا : — « العفو ، العفو ! لا شكر على واجب ! » فأكد بصدق وإخلاص :

— « صدقني ، لولا أنت لأقلت اللعين ، ولما تم القبض على أخطر تاجر مخدرات أرهقنا سنين طويلة ! »

فتأثأت أفأفيء : — « تاجر .. ما .. ماذا ؟ هو فتى .. فتى وحسب .. و .. » فقاطعني :

« فتى ؟ انه في الثامنة والثلاثين ويبدو وكأنه لم يتعد العشرين وتلك أبرز صفاته ! »

ثم أشار الى جنديين : « هاتوا الكيس ! » الضابط وارتميت الى أقرب مقعد . أنكمش وألملم ساقي

فكتافوني تحتي كطفل مذعور .. أوصالي مفككة . وريقي جاف ، وعرق بارد غزير ينضح مني . وكادت عيناي تبرزان من محجريهما ، وأحد الجنديين ينزل رأس الغزال المتحجر عن الرف في داخل القطار ويضربه لينشق الجلد المفرغ عن المخدرات . ثم انثنى على الصرة التي ظننت بها ثيابا .

وعبقت الحجرة بالرائحة الغريبة النفاذة . فرماني المجرم بنظرة كالطلق الناري . وهو يفح ويصرصر من بين أسنانه :

— « اذن لم تكن تكذب عليّ بشيخوختك ووهنك ! لست اذن المخبر السري المشهور . فضحك الضابط وهو يتأملني :

— « فعلا ، انك تشبه الى حد بعيد . الا أنه الآن في مهمة أخرى استدعت سفره السريع .. وعندما غادرني القافلة الصغيرة ، التفت نحوي الضابط ، يكرر شكره باسم القانون ، ثم ألح عليّ :

— « لا بد أن تتوجه غدا الى المحافظة لتسلم جائزة مالية كبيرة لمعاونتك لنا في إلقاء القبض على هذا المجرم . »

فطار بالي الى بنتي « رقم أربعة » التي جاءها خاطب ، لكننا اضطررنا للاعتذار ، نتعلل بأمور كثيرة الا الحقيقة . مع أن البنت في عزها ، والشاب متعلم وابن حلال !

وعندما تخيلت فرحة أمها لحظة تسمع مني عن التقود التي هبطت علينا . هتفت فرحان جذلان :

— « ربنا فتحها علينا يا « بدرية » يا بنيتي جهازك حضر ! »

ألم أقل لكم منذ بدء الكلام انه صديقي العجوز — صديقي جدا ، قطار الصبيد هذا ؟

زعرور

للشاعر طاهر زحشري

زعموا أنه سرحل فلي الفجر ، ويبقي على الجدار المايا
وعليها رواء تضحك العين ، وتمطي الورود منها هدايا
وعلى الصمت من لغاه حديث ومن الرجوع فلي السكون بقايا
وحفيف الأغصان ، خليف ستار الليل يري بما تضم الحنايا
وعلى الزفيرة الشجية مني قطرات مسفوحة من دماي
والنسيم العليل يخترق الغرفة بحثا عن موقعي في الزوايا
والرذاذ المبعوث من قطع الحب تباري انكبابه مقلتي
عليها تبرد الشجون ولكن لذعات الحريق زادت بكماي
ما ارتويننا من اللقاء ، ونار الوجع مسعورة تريد الضحايا
فاذا خافقان ذابا من الوعة من قبل أن تشد المطايا

* * *

زعموا أنه سرحل فلي الفجر ، فجادت زوافري بالبقايا
أهو البعد .. مارق يطلب الفرحة من عافتي ويذكي جوايا
ما ارتويننا من اللقاء فننأى ما ارتشفنا الدود الا حكايها
وندي الأنفاس كان بها يشدو ، ويختال صيدحا فلي البرايا

* * *

هل ترى الوعة التي تلهب الشوق أحست بين الدروب عطاي
فاستارت فواجعي فلي الحنايا ثم غالت من راحتي مناي
من ترى أن نأى سيجمل نجواه ، وترضى به الجوانح نايا
فأنسا بالحنين طرفة ملتاع ، وترجعو من ناظره العطاي
وأنا بالجوى على دربها الأعصر ما زلت ارتوي من أساي
مزق البعد مهجتي بالتباريح ، فناحت ولم تشد المطايا

* * *

زعموا أنه سرحل فلي الفجر ، فدت طريقه راحتي
وتهبأت كي أذيب له روحلي ، وأقيه جرعة من هواي
عله أن أحس حشر لظاه لم حبل النوى وأدى التحايا
وهي من نظرة بهسا صارخ الفتنة يرمي قلوبنا بالنايا
والسهام التي ترش تزييد الحب وقبدا ، ومن فوادي الشظايا

* * *

ويحبل النوى حزمت الأمانى والجمال الذي أخاف عليه
وهي فلي سمعي تردد أمانتي ، ولكن وكرها في حشاي
كم بها غرد الفتون وغنى وأعاد الدجى على صدي
فاستبيننا الهوى وذبتنا نشيدا وامتزجنا فهل تشد المطايا ؟ !



كتاب الشعر

عدنان مردم بك

العباسة

مسرحية شعرية من أربعة فصول

تأليف الشاعر : عدنان مردم بك
عرض وتحليل : الأستاذ أبو طالب زيان

الاثنين من العواطف المتأججة ، ما لا يمكن أن يقف في سبيله ، حتى يشترط هذا الشرط الذي لا تسيغه الحنكة والتجربة ، ويصاب بالغضب حين يصل اليه في الوقت الذي يعلم فيه جعفر أن زبيدة تربع به .
ومهما قيل من تعلات عن اسلام الرشيد زمام الأمور لجعفر ، فليس يغيب عليه طواياه ، وان قر به منه صهرا ، ووكل اليه خاصته بصرفها

المؤلف فقه على لسانها ، مسوقا الى الغاية التي يتبها اليها كل مؤرخ :
ما حيلتي فيما اقترفت
من الأذى وخلقت أنثى
والرأي عندي لا يحتاج الى أعمال فكر ،
ما دمنا نركن الى التأريخ الصحيح . فالرشيد نفسه حين عقد لجعفر على العباسية ، لم يكن يغيب على باله ، أو يند على خاطره ، أن بين

الذين كتبوا عن « العباسية » أخت الرشيد لم ينصفوا تاريخ هذه السيدة ، بل كان الأمر عند بعض الذين صاغوا هذه الحوادث التي لعبتها « العباسية » ، أو كانت سببا في حياتها على مسرح التاريخ حيناً ، أو مسرح السياسة حيناً آخر ، لا يعدو التناول من زاوية التأثير العاطفي ، أو اظهارها بمظهر الأنثى التي أسلمت زمامها ، وسارت لا تريد الا هواها ، حتى قال

دونه ، بعقل هو الرشيد ، وسياسة لا يعترض عليها الخليفة نفسه طوال فترة التقرب ، أو مدة الصلحة ، أو سني المصاهرة .

أن أسباب نكبة البرامكة التي ردها ابن خلدون إلى الدوافع السياسية البحتة ، هي أقرب ما تكون إلى العقل ، والصق في باب كانت ترى « زبيدة » كسره ، لثرى من ورائه العواصف تقتلع البرامكة ، ويرى العرب من طاقه مسرح آل برمك خاويا ، فيخلص الأمر كله لابنها ، دون غيره من سائر الأبناء .

وليس ريب في أن هذا هو الدافع في هذه القضية التي شغلت التاريخ السياسي بقدر ما شغلت التاريخ الأدبي هذا الزمان الطويل .

فما هي وجهة النظر التي يرضيها شاعر يريد أن ينسج مسرحه ، ويبعث رسومه ناطقة على هذا المسرح الذي شحن ببوجهات نظر كثيرة ؟

في اعتقادي أن الشاعر عدنان مردم أدار حوادث مسرحيته على رأي ابن خلدون ، أو هو كان متكأ في الحوار والتسلسل والنسج .. فالمشهد التلقائي الذي تفقه « صالحه » و « عاتكة » على شرفة في قصر الخليفة ببغداد ، تنصتان إلى أهازيج الشعب وهم يحيون الرشيد وابنيه الأمين والمأمون ، لا يخلو من همس بينهما حين يصل موكب جعفر إلى قصر الخليفة ، وتنتظران إليه معجبتين ، وإن كان اعجابهما يشوبه التوجس من الساعين الذين يريدون الوقعة ، ويغون الدس ، ويرتضون العواصف :

ان البواعث للأذى

يعزى إلى خطل الهوى
عجبا ، وهل من حافز
يدعو « زبيدة » للأذى

ولقد أجاب الشاعر على هذا الحافز الذي دعا « زبيدة » إلى هذا :

أو ليس « جعفر » خصمها
أبد الأبيد بما أتى
سلب ابنها في زعمها
شيئا أعز من المنى
وأنى لله بمشارك
من دونه ليث الشرى
أطماعه البحر الخضم
وهل لبحر من مدى
وكان ثاقب فكره

قدو إذا حمّ القضا
وفي المشهد الثاني تظهر الأميرة ، وهي مطرقة حزينة ، فتحدثها « صالحه » و « عاتكة » ، وإن كانت « العباسة » نفسها تنحو باللوم على جعفر ، وتتوجس خيفة من هذا الذي يترصد به :

ما ضر جطر لو تحاشى
النار أو حذر الشر
ما باله وهو الأريب
يكاد يعثر من عور
من نام قرب النار لم
بأمن من النار الخطر

ويلغ الأبداع الشعري قمته حين يقول عدنان مردم في موقف اليأس الذي وقفته « العباسة » وهي تصور نفسها هذا التصوير الذي جنح إلى النظرة إلى « العباسة » ، كأنني قضت عليها الرشايات :

أنا قصة مروى
وأشجاني على الدنيا حكاية
أني سئمت من المصير
وضقت من سحف الرواية

ما بال كل حليلة
نالت من الحب الكفاية
ومنعت عن نيل الثليل
من المحبة والعناية
كم لوعة في أضلعي
عصفت تجلجل عن غواية
داريتها وكتمتها
خوف الوشاية عن دواية
أنا ريشة في عاصف

راحت تهاوى دون غاية
الشاعر نقلة ليست بالجديدة ، وإن **ويتمثل** كان السياق قد اقتضاها في الربط بين الحوادث إذ ليس يغيب عن الذهن ما يؤرق ليل « زبيدة » أو يقض مضجعها ازاء ما يأتيه الفرس نحو ابنها ، أو نحو العرب ، حتى تدع « العباسة » ثقلت من بين يديها حين أتيح لها الاجتماع بها ، فتسألها بتهكم قاتل عن صمتها واتهامها :

أم كان صمتك غفوة
النشوان حين يحلق ؟
وترد « العباسة » على هذا الاتهام ، ولكن ردها لا يغني « زبيدة » عن التعرض لما يدور داخل نفسها والتعريض به ، وإن كانت « العباسة » نفسها تفصح عما بها ، وتحدد موقفها بين هذه الاتهامات :

أنا نفة الأوجاع مألجة بأضلاع الشهيد
وتأرجح النظرة الحاقدة في جوانح « زبيدة » ، عندما تتعالى الأصوات محيية الرشيد وابنيه الأمين والمأمون ، وتعرض بالمأمون وتتهم أرومته ، وتذكر جعفر صراحة دون مبالاة ، وأطماع فارس وريبتها منها في تقويض مجد العرب ، والقضاء على ابنها الأمين .

ويعضي الشاعر يصور موقف الرشيد من جعفر حينما مثل بين يديه ، بعد أن أوغر صدره عليه ، وضاق حنقا به .

وهذا المشهد تتجلى البراعة الشعرية في هذه المرأة العاكسة التي ينظر اليها جعفر من وجه ، وينظر اليها الرشيد من وجه آخر ، ثم لا يكون الا هذا الحديث الذي يردده الرشيد بينه وبين نفسه ، وصور الأطماع الفارسية ، تشده الى القضاء عليها ، وأدها حيث تكون .

ثم ينتقل الشاعر الى هذه الصورة التي جسّمت الأطماع وكبرت في عقل الرشيد ، وهو ثاو ينتظر ما تأتني به العيون ، عاكف يترقب الأخبار على فيها ما يتلرع به فيما انتواه ازاء البرامكة .. وأيّ ذريعة أكبر في بابها من هذا الحدث الضخم الذي هز مشاعره . الا أن يكون يحيى العلوي يطوّف آفاق البلاد يبيت له . بعد ما أراح نفسه ، وهذا باله بسجنه :

كشف السر وانجلي

ناصرنا عن فواجع

بات ما كان خافيا

أمس يجلي بساطع

يقتضي الأمر فطنة

قبل شحذ القواطع

ويبرز الشاعر « العباس » ومعه « عاتكة »

على هذا المسرح الواجم الحزين . وبخاصة

بعدما بان أمر جعفر ، وانكشف ما كان خافيا ،

وتظهر « زبيدة » وسط هذا العجاج الذي تناثر

غباره ، ويبين تهكمها ، فتعضي « العباس »

الى حال سبيلها ، بعد أن أعيتها الحيل معها

في تبرير موقفها ، والدفاع عن وجهة نظرها .

ولا ينسى الشاعر ، أن يضم الى تعبته « زبيدة »

شعور الرشيد ، بالحق ، ما أرسله الشاعر أبو

العتاهية في هذه الآونة من شعر ، وما كان يدخل بين الرسائل الى الرشيد مدموسا ، غير ما كان يحترّض به الفضل بن الربيع .

ولا يفوت الشاعر الكبير أن ينطلق في مشهد الفكر والرأي الذي كان بين الرشيد وزبيدة ساعة احتدام الأزمة ، وبلوغها قمعتها في الماضي أو التراجع في الاندفاع ، أو النكوص ، حتى يكون جماع الرأي الذي يخرج بالرشيد من هواجسه ، ويدفعه الى ما انتواه ازاء البرامكة ، حتى قال الرشيد لنفسه بعد أن خرج الفضل من لدنه :

ان الدليل جلي

لمن يروم الدليلا

الحق فجر مبين

لا يقبل التأويلا

والحزم يأبى انتظارا

أو حيرة وذهولا

غير أن الشفاعة هنا بعد تعبته الجو لا تجد

من الرشيد مسمعا ، فالمصانعة التي أجراها الشاعر

على لسان « العباس » والردود المطولة التي لعب

بها الرشيد ، لم تخرج به الا الى هذا الحكم :

أخناه ليس مع الهوى

حكم يدموم ويستقيم

وفي قصر جعفر ، يجتمع أشياعه ، ويستحثه

أحدهم على الفرار ، فيأبى جعفر وان حضّ

أتباعه على الرحيل ، مضحيا هو بنفسه .

والواقع أن مشهد الرواية الواضحة سارت

بالشاعر الى هذه الخاتمة التي اكتنفها الأسى

من كل جهاتها ، حتى كان هذا المسرح الخاطف

التي تغيرت عليه هذه المناظر الحزينة التي جعلت

العباس تقول :

دربي ودربك واحد

ان طال أم قصر السبيل

فيجيبها جعفر كاشفا ما كان يخبئه ، ويعمل من أجله :

اني رسمت نهايتي

بيدي وكنت بها البصيرا

يكثف الشاعر في تفجيع هذه المأساة

بما دار بين جعفر والعباس . تاركا الوداع

يصور نفسه في أي وضع من الأوضاع ، بل جمع بين

الثلاثة الذين يعينهم الموقف : جعفر وأمه وزوجه .

حينما يدخل عليهم « مسرور » يتأديه وأصوات

السلح تقعقع خارج القصر تنتظر رأسه . والبراعة

هنا تمسك بالشاعر ، فتجعله يكشف بحذق عن ما

بذات جعفر ، الذي ضاق بالأغلال وناء بالذل :

أماه من شمم الرجولة ط

رح أغلال الدليل

ما خير عيش حف بالأوجاع

والداء الوبيل

كل الى عدم يحول

كمطرف الظل الظليل

ويمشي « جعفر » بتجلد يتقدمه « مسرور »

ناظرا الى أمه ، التي تقع على الأرض . وزوجه

« العباس » ، التي تهتف شاردة :

ما كنت أدرك غايتي

والكون يجري نحو غاية

أمشي ولا أدري المصير

من المير أو النهاية

أنا قصة تروى وأشجاني

على الدنبا حكاية

على أنه لا يعنينا هنا في هذه المسرحية

المقارنة ، أو الموازنة ، وإنما حبي أنني أدل

عليها ، لا داعيا أو موجها ، فالمسرحية عندي

كسب أدبي كبير ، وثروة طائلة من ثروات

العربية أولى بأبنائها أن يرجعوا اليها . ■

الحكمة الدينية في الحضارة العربية

• أصدر الأستاذ عبد السلام السامي الجزء الأول من «الموسوعة الأدبية». وهو يشمل الحروف: أ، ب، ت، ث. وقد صدر لها معالي الشيخ محمد سرور الصبان.

• وكان باب السير والتراجم من أحفل الأبواب الأدبية بالتاج الجديد، فقد ظهر من هذه الكتب ما يلي: «نظير زيتون الانسان» جمع مادته الأستاذ عدنان الداعوق وأشرف عليه الأستاذ عبد المعين الملوحي، «الجارم الشاعر - عصره»، حياته، شعره، تأليف الأستاذ أحمد الشاب، و«التيجاني يوسف بشير» للأستاذ هنري رياض، و«المسعودي» للدكتور علي حسن الخربوطلي، و«رفيق في الميزان» وهو دراسة عن الشاعر الليبي رفيع المهدي، و«مصطفى صادق الرافعي» للدكتور كمال نشأت، ودراسة أخرى عن «الرافعي» للأديب العراقي الأستاذ مصطفى نعمان البديري، و«صاحب الأغاني أبو الفرج الأصبهاني» للدكتور محمد أحمد خلف الله. وأصدر الأستاذ صبحي الجبار الجزء الأول من سيرة حياته بعنوان «ربع قرن في القيود» يصور إليه كفاحه مع المرض وصوره على آلام هذه فصول الطوال.

• علامة تونس الراحل الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب خلف ثروة نفيسة من الكتب المخطوطة أهمها «كتاب العمر» وهو يقع في أجزاء متعددة. وقد ألفت لجنة من الأدباء لإخراج هذه الكتب. ولعل آخر ما نشر للفقيه كتاب كبير في جزئين عنوانه «ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية».

• من كتب التراث التي حققت وصدرت أخيرا «جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك» لأبي عبيد البكري وقد حققه الأستاذ عبد الرحمن علي الحججي، و«الضوء المثير المقتبس من مذهب الامام مالك بن أنس» وهو أرجوزة تقع في ٢٤٠٠ بيت ألفها المرحوم محمد الفطيسي وحققها الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي، والجزء الثالث من «خزانة الأدب» لعبد القادر البغدادي وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، و«نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» للسان الدين بن الخطيب وتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي، و«المدارك» للقاضي عياض وقد حققه في ثلاثة مجلدات الدكتور أحمد بكير محمود، و«ديوان طهمان بن عمرو الكلابي» شرح أبي سعيد السكري وتحقيق الأستاذ محمد جبار المعيد.

• دراسات أدبية ولغوية جديدة ظهرت منها «القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية» للدكتور عبد العال سالم مكرم، و«الواضح في شرح مشكل شعر المتنبي» للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، و«دراسات في الأدب الحديث» للأستاذ بشير الهاشمي، و«رحلة الأدب العربي الى أوربا» للأستاذ محمد مفيد الشوباشي، و«النقد الأدبي في العراق» للدكتور أحمد مطلوب، و«حياة الأدب الفلسطيني الحديث» للدكتور عبد الرحمن ياغي، و«الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي» للدكتور يوسف خليف، و«الأدب الشعبي في ليبيا» للأستاذ محمد سعيد القشاط، و«نوافذ أدبية» للأستاذ نسيم نصر.

• مسرحيتان شعريتان جديدتان صدرتا أخيرا، هما «الملكة زنوبيا» للأستاذ عدنان مردم و«نساء وأفاعي» للأستاذ وديع ديب.

• وأصدر الدكتور علي الراعي دراسة عن المسرح عنوانها «الكوميديا المرتجلة في المسرح المصري»، كما صدرت دراسة عن المسرح اليوناني عنوانها «الدراما الاغريقية» للدكتور ابراهيم سكر

• وفي الأدب الروائي صدرت رواية «النصيب» وهي حلقة جديدة في خماسية «الساقية» للأستاذ عبد المنعم الصاوي، ورواية «المصير» للأستاذ يوسف جاد الحق، ورواية «ذات الحمة» للأستاذ عباس خضر. وأصدر الأستاذ عز الدين المدني مجموعة أقاصيص عنوانها «خرافات».

• من الكتب الدينية الجديدة «الرسول في رمضان» للدكتور علي حسن الخربوطلي، و«محمد في الخالدين» للأستاذ محمد عطا، و«خواطر وأحاديث» للشيخ أحمد حسن الباقوري، والجزءان التاسع والعاشر من «التفسير القرآني» للأستاذ عبد الكريم الخطيب.

• دواوين جديدة ظهرت أخيرا منها «أنفاس الربيع» للأستاذ راشد الزبير السنوسي، و«قصائد على زجاج النوافذ» للأستاذ معين بيسو، و«النور من الداخل» للأستاذ محمد فايز.

• من الكتب العلمية الجديدة «النباتات الطبية» للدكتور عبد العزيز شرف، و«تكنولوجيا الأسماك» للدكاترة مصطفى صفوت محمد ومحمود فهمي حسين ويحيى محمد حسن، و«استراتيجية صيد الأسماك» للدكتور جرجس أنناسي بطرس، و«مقاومة الآفات» للدكتور محمود زيد، و«كيمياء مييدات الفطريات» للدكتور أحمد سيد النواوي، و«معجم التشریح» انجليزي - عربي للدكتور فهم ميخائيل أبادير، و«معاملات اللبن السائل» للدكتور جمال الدين محمد صادق وعبد السيد شحاته.

• في الاقتصاد والقانون ظهرت طائفة من الدراسات منها «النقد والمؤسسات المصرفية» للدكتور نبيل سدره محارب، و«النظرية الاقتصادية» للدكتور صلاح الدين الصيرفي، و«الاقتصاد التحليلي» للدكتور حسين عمر، و«تقنين المرافعات في ضوء القضاء والفقه» للأستاذ محمد كمال عبد العزيز.

• أصدر معهد البحوث والدراسات العربية كتابا بعنوان «عبد الوهاب عزام في حياته وآثاره الأدبية»، وهو مجموعة محاضرات كان قد ألقاها الدكتور محمد زكي المحاسني عن هذا الأديب الراحل.

• اعترافا من مجمع اللغة العربية بدمشق بأبادي رئيسه الراحل العلامة الكبير الأمير مصطفى الشهابي على الضاد، أصدر دراسة ثمينة عن الأمير وآثاره كتبها الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع

سلاسل

تحفة الفن المعماري المغولي



من بين المعالم التي لا يمكن أن تتركها النفس في حيرة
في قلب كل من يزورها أن يكون له نصيب من
الجمال الذي لا يوصف في حديقته التي لا تحصى
من الأزهار والنباتات التي تزينها
والتي تزينها أشجارها التي لا تحصى
والتي تزينها أشجارها التي لا تحصى
والتي تزينها أشجارها التي لا تحصى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
 وَخَلِّصْنَا مِنَ الْفِتَنِ الْكُبْرَى

النقوش العربية تحلي صفائح المرمر في أكثر من موضع في بناء تاج محل .

تاج محل ، وقد عكست صفحة الماء في البركة جزءه العلوي بتفصيل خلاب .

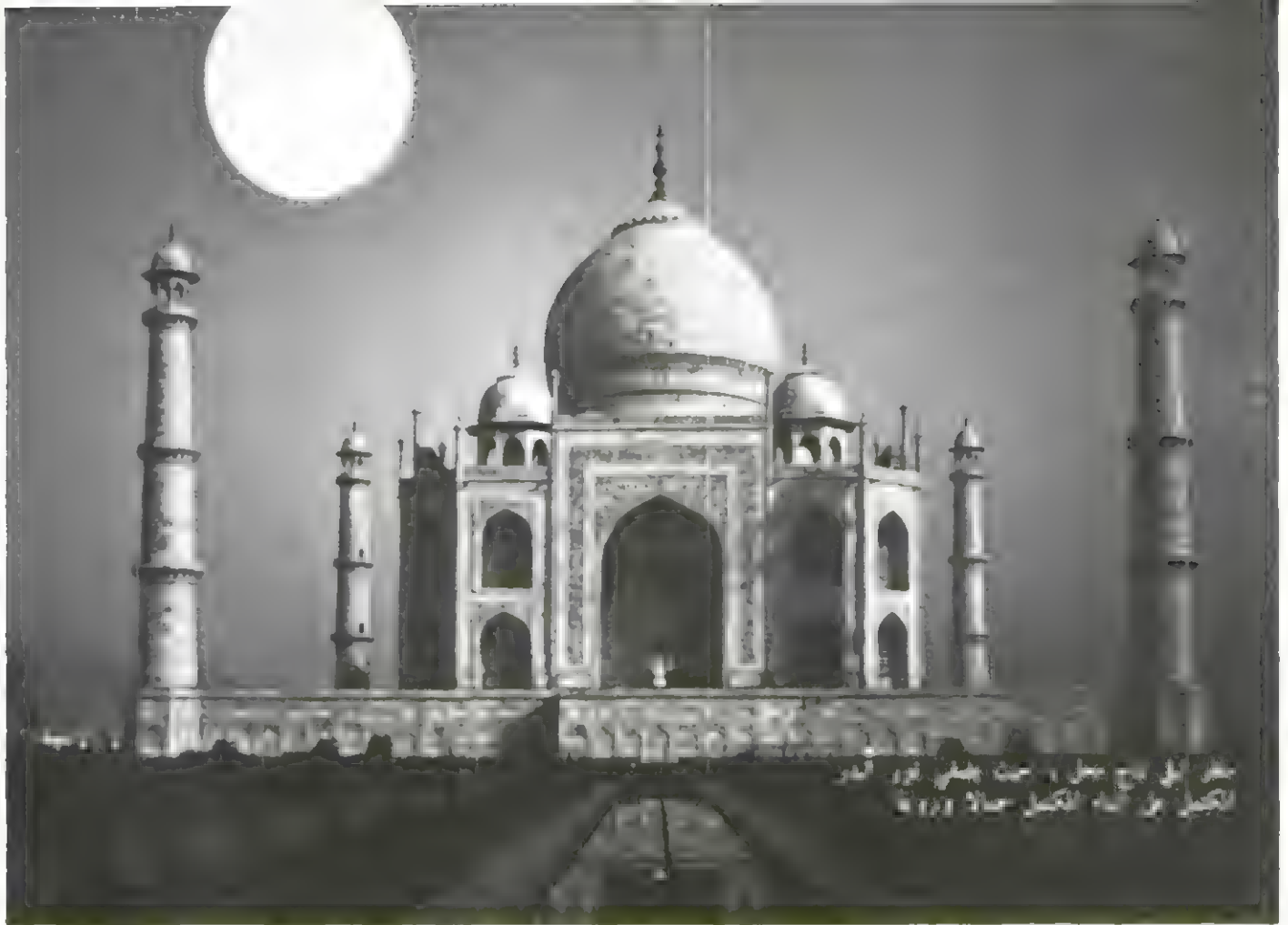


ولد « شاه جهان » عام ١٥٩٢ م ، وهو سليل الأباطرة المغول الذين زحفوا من أفغانستان عام ١٥٢٦ ليقبوا دولة إسلامية سيطرت على معظم الأراضي الهندية حتى عام ١٨٥٧ . وعندما تسلم « شاه جهان » مقاليد الحكم عام ١٦٢٧ حاول القضاء على معظم أقاربه من الرجال خشية أن ينافسوه ، فأنسم حكمه بالجور والقسوة . بيد أنه من ناحية أخرى كان عرضة لتأثير زوجته « أرجومانده » فانطبعت شخصيته بطابع آخر اصلاحي .

تزوج الأمير « شاه جهان » الحسناء « أرجومانده » عام ١٦١٢ م ، وكان في الحادية والعشرين من عمره ، وكانت هي في التاسعة عشرة . وكان الزوجان الشابان متلازمين دائما ، وكانت « أرجومانده » تحاول باستمرار أن تحثه على الإصلاح وعلى اتباع الطرق السليمة مع خصومه . وعندما توج امبراطورا أصبح بلاطه بتأثيرها مقصد الأديباء والشعراء ورجال الفكر . ولا يزال المؤرخون يرجعون الى فترة الثلاثين عاما التي حكم البلاد خلالها كفترة ذهبية في العهد المغولي ، لا سيما في مجالي الأدب والعمارة .

ان فن المعمار المغولي هو مزيج من الفن المعماري الاسلامي والهندي والفارسي ، ويبدو ذلك واضحا في القباب العريضة والمناظر المستديرة والأقواس المدببة . وقد بلغ هذا الفن شأوه في عهد الامبراطور « جهان » متمثلا في « الجامع الدرّي » في « أجرا » وفي « الجامع الكبير » في دلهي المدينة التي نقل الامبراطور « جهان » بلاطه اليها في أواخر عهده .

ومع أن « تاج محل » ، هو أجمل أثر معماري مغولي ، بل ربما يكون أجمل بناء في العالم



تاج محل في الليل - حيث يظهر نور القمر
الجميل من خلف المنكسر سلاسل

ان سقط عن كرسي الحكم ، وكان ذلك عام ١٦٥٦م ، وتوفي في العام التالي ، ودفن في « تاج محل » الى جانب زوجته ، وأصبح المشوي الذي اختاره لها مثواه هو أيضا .

واللّٰه ، وبعد ثلاثة قرون ونصف ، لا يزال « تاج محل » كما وصفه كاتب انجليزي : « على درجة من الاتقان من الناحية المعمارية لا يمكن أن توجد في أي عمل آخر أنجزه الانسان ! . أو كما وصفه أحد الشعراء : « قصر أخاذ يحبس على المرء أنفاسه جمالا وروعة وحسن بناء ! » .

يقوم بناء « تاج محل » في مدينة « أجرا » بالقرب من دلهي في رقعة من الأرض مستطيلة ، طولها ٥٨٠ مترا وعرضها ٣٠٤ أمتار وتقع في محاذاة نهر « جمنا » ، وتتميز بالحجارة الرملية الحمراء اللينة .. الموقع الذي يضفي على البناء جمالا وروعة .

وتتوسط تلك الرقعة حديقة مربعة الشكل طول ضلعها ٣٠٤ أمتار ، فتخلف في طرفيها الشمالي والجنوبي مستطيلين متشابهين ومتساويين مساحة ، طول الواحد منهما ٣٠٤ أمتار وعرضه

الأجود والأفضل .. فجلب اليشب (١) مسن البنجاب ، والبلور من الصين ، والفيروز من التبت ، واللآلئ من سيلان ، والمرجان من الجزيرة العربية ، والجزع (٢) والجمشت (٣) من بلاد فارس . وأربت تكاليف ذلك كله على ما يوازي ٤٥ مليون ريال . وقد صمم بناء « تاج محل » مهندس معماري معروف هو « الأستاذ عيسى » . وقد أولى الموقر التصميم عنايتهم الفائقة ، لأن التقاليد المغولية تحظر اجراء تعديلات على البناء بعد اتمامه . لذلك استلزم الأمر أن يصمم « تاج محل » بمناثره وقبته ومسجده ، وقاعات الاستقبال فيه ، وغرف الخدمة ، والحدايق ، والسبك ، والأسوار ، والبوابات وان يبني ذلك كلا متكاملا ..

وحق بعد أن أنجز البناء ، ظل « تاج محل » يشغل وقت « شاه جهان » وأفكاره ، فقد كان يقضي أوقاتا طويلة الى جانب قبر زوجته ، وكان يتمنى أن يدفن الى جانبها في بناء مماثل على الضفة المقابلة من النهر يقام من الرخام الأسود . ويتصل بتاج محل بقنطرة من الفضة الخالصة . ولكنه مرض قبل أن يتحقق أميته تلك ، ثم ما لبث

من الناحية المعمارية ، الا أنه لا قيمة دينية له ، فقد نهى الاسلام الحنيف عن اقامة الصروح فوق القبور . وهو يظل يتشح بمسحة حزن ، لأنه حصيلة حالة شعورية متدفقة اتابت « شاه جهان » أثر وفاة زوجته الحسنة عن سبعة وثلاثين ربعا . وكانت قد توفيت عام ١٦٣١م بعد ١٨ عاما من زواجها ، وهي حامل بطفلها الرابع عشر ! شاركت الامبراطورية بأكملها اميراطورها المفضوع بزوجه بحداد دام ستين كاملتين بيد أن « شاه جهان » ما لبث ان انفك من اسار فجيعته ، ليبدأ تنفيذ مشروع « تاج محل » الضخم الذي طالما شغل باله ، والذي أشغل نحو ٢٠ ٠٠٠ من بناء وقني معماري مدة تبلغ ٢٢ عاما .

بدأ الامبراطور أول ما بدأ باستنفاار المعمارين والفنيين من شتى مناطق امبراطوريته ، ومن الشرق الأوسط وآسيا وأوروبا . وجلب خبراء بناء القباب من اسطنبول ، والحجارين من بخارى ، والخطاطين من بغداد ، وخبراء المعادن من « بوردو » بفرنسا . أما مواد البناء فقد جلبت من أشهر مصادرها في مختلف بقاع العالم ، لتكون

(١) حجير كريم ، لونه أخضر ضارب الى السواد .

(٢) العقيق اليماني .

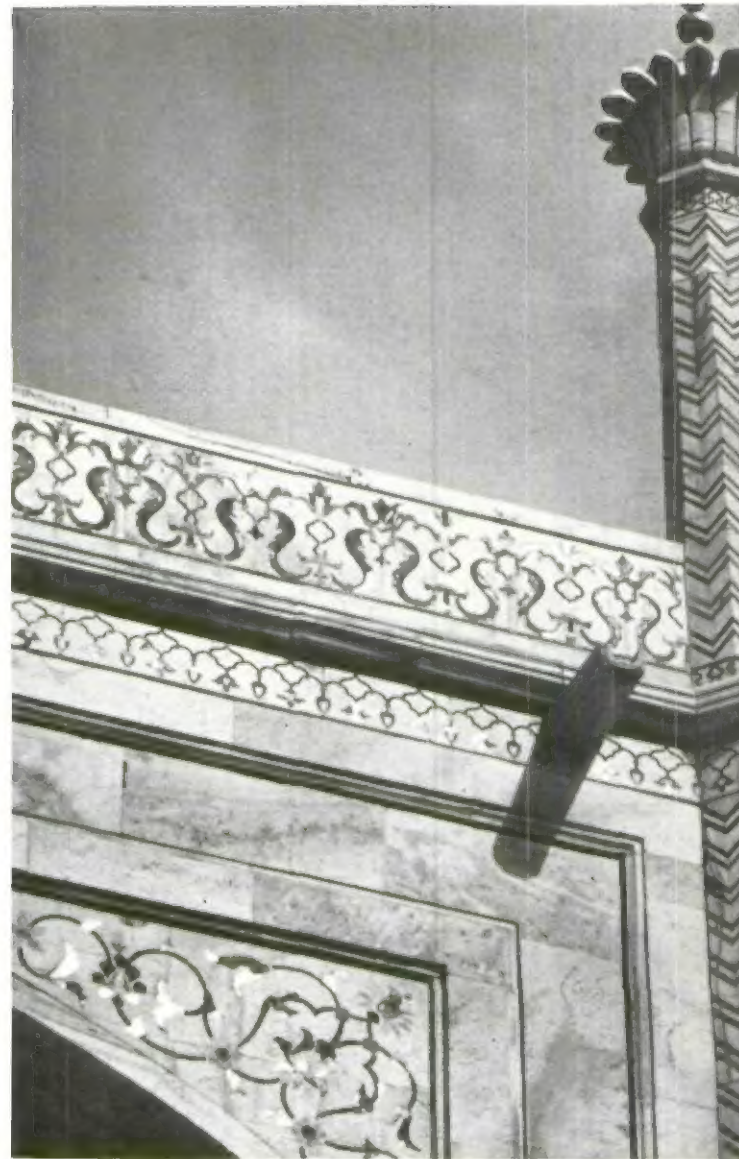
(٣) حجير كريم أرجوان . اللون .



الزهور والزنايق الملونة التي ترصع المرمر .. من المشاهد الرائعة التي يؤخذ الزائر بها في تاج محل .



الجزء العلوي لاحتدى منائر مسجد تاج محل الشاهقة التي تعكس أصالة الفن المعماري الاسلامي .



الطرف العلوي الأيسر لقوس الواجهة الأمامية لمبنى تاج محل ، وقد ازدانت صفحته المرمية المحيطة بقمة القوس بالرسوم الفسيفسائية الجميلة .

جانب من إحدى واجهات المدخل الرئيسي لمبنى « تاج محل » تزيينها النقوش العربية والرسوم الزخرفية . تصوير : برنت مودي

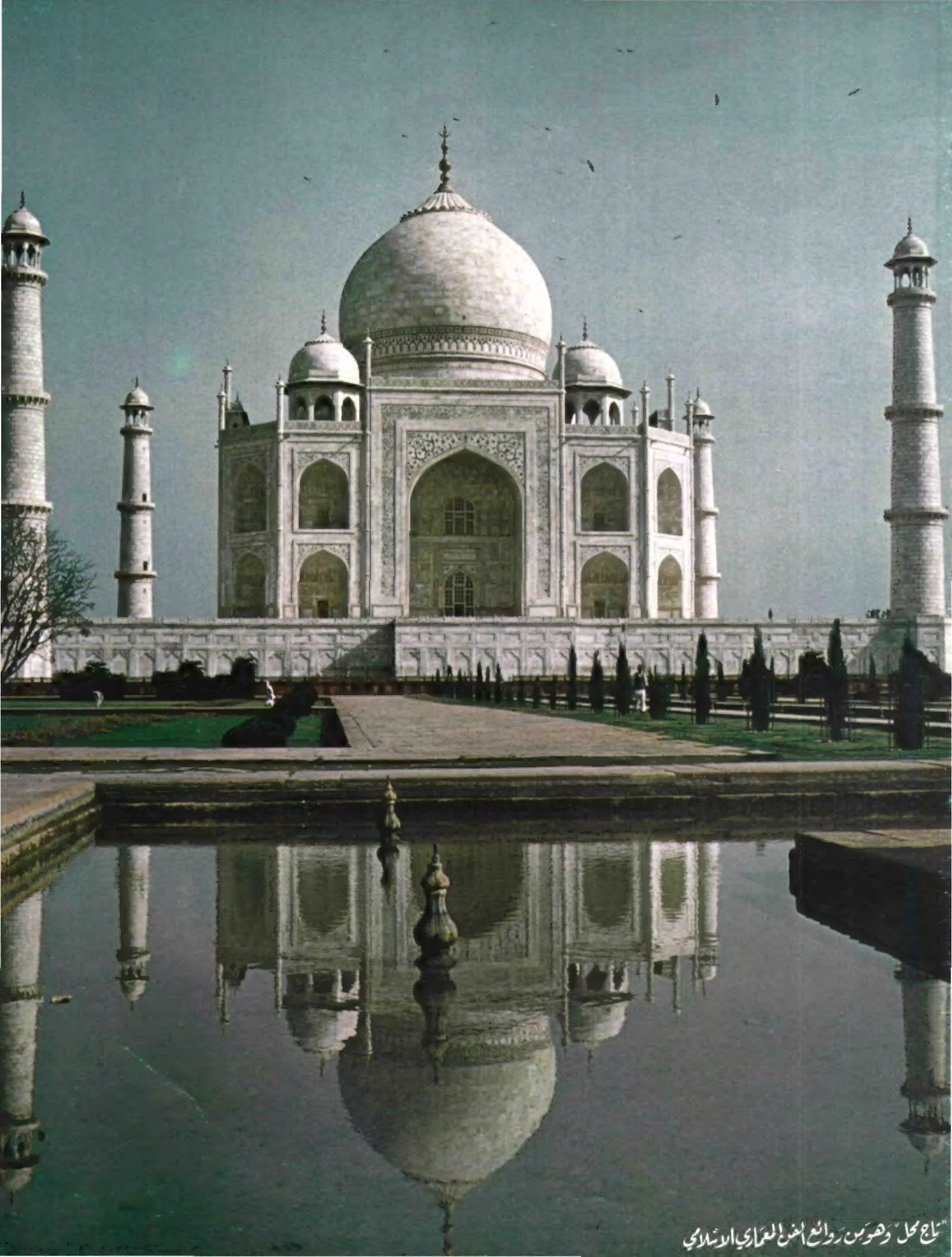
أما داخل البناء فقد دفنت الامبراطورة والامبراطور تحت قبة أخرى ارتفاعها حوالي ٢٤ مترا تتخللها أشعة الشمس التي تنفذ من خلال كوى الاضاءة المرمية المشبكة الرائعة التصميم . وتلك الكوى حدث بأحد المؤرخين أن يقرر : « ان المغول شادوا بنيانهم على النحو الذي اتبعه التبتان » (١) غير أنهم أضفوا على بنائهم لمسات أبرع الفنانين أو الصاغة فأفردوا لتاج محل الجمال والكمال المعماري

اعداد : ح.ح.
عن « أرامكو وورلد »

أما مبنى « تاج محل » نفسه فمربع الشكل ، وان كانت أركانه الأربعة مقطعة قليلا بحيث تبدو قاعدته على شكل ثماني غير متساوي الأضلاع ، ولكل واجهة من واجهاته الأربع باب مفتوح مقوس يبلغ ارتفاعه ٣٣ مترا ، وسقفه عبارة عن قبة عالية يعلوها هلال يبلغ ارتفاعه عن مستوى أرض الحديقة ٧٣ مترا . ولعل ما يسترعي اعجاب زائري « تاج محل » ويستثير دهشتهم هو روعة التنسيق ، وفخامة التصميم ، وجمال الزخرفة ، فالحجارة الكريمة ، التي طعم بها رخام « تاج محل » على هيئة نقوش عربية ورسوم وزخارف تجعل من البناء تحفة فنية معمارية رائعة.

١٣٦ مترا . ويحتوي المستطيل الجنوبي على مرافق الخدمة والاسطبلات ومنازل الحراس والبوابة ، في حين تتوسط الحديقة بركة تنعكس فيها صورة البناء التذكاري الفخم الذي يقوم في المستطيل الشمالي في محاذاة النهر . وإلى جانب تاج محل يقوم مسجد وبهو استقبال متشابهان تماما ، أشيدا بحجارة حمراء رملية تحد من سطوع الرخام الأبيض الذي بني منه تاج محل القائم بينهما على منصة من مرمر مربعة الشكل ، طول ضلعها ٩٥ مترا ، وارتفاعها ٥,٥ من الأمتار . في حين تقوم في أركان المستطيل الشمالي أربع مآذن متماثلة ارتفاع كل منها ٣٨ مترا .

(١) قوم أقوياء عمروا الأرض قبل سكان جبال (أولب) .





العمل العالم لفرز القارة من الزيت في البحر
استحوذت على السوق منظر امن اليابان
لاستخدام في المنطقة الغنية بالسفينة
تصوير: شفيق أمين